مجلة شهرية

عدد: Issue No: 109

أيلول September 2016

نـــــور يسوع المسيح المســيـــح

ΧΡΙΣΤΟΥ الفادي Σ Ω Φ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

رفـــع الصليـــب الكريـــم المحيي

ذخيرة الصليب المقدّس
في دير الصليب العامر للروم الأرثوذكس
في جزيرة قبرص

القديس قسطنطين الكبير
مُؤَسِّس الرُّومِيَّة

القديسة هيلينة تقدّم
ذخيرة الصليب المحيي

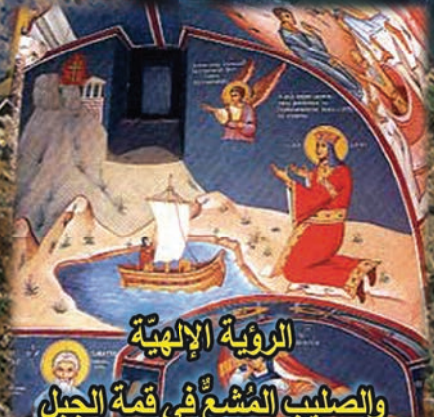

الرؤية الإلهيّة
والصليب المُشِعّ في قمة الجبل

القديسة هيلينة تبني كنيسة الصليب في جزيرة قبرص
على قمة جبل ارتفاعه ٧٠٠ متر (جبل الصليب)
مكان معبد زيوس الوثني، وتضع فيه
ذخيرة من الصليب الحقيقيّ الذي بحوزتها،
لطلب الملاك الذي بشّرها بأن تبني كنيسة
كما فعلت في الأراضي المقدّسة، تمّ هذا
عند عودتها إلى القسطنطينيّة (٣٢٧م)
قُربَ الساحل الجنوبي لجزيرة قبرص

مرسوم لبناء الدير
ووضع ذخيرة الصليب فيه
البطريركيّة الأرثوذكسيّة – موسكو

محتويات العدد

2	غابت الشمس يا ابن...
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
4	النُسك في الحياة الرهبانية
6	قَطع رأس يوحنا المعمدان للقديس يوحنا الذهبي الفم
8	تأملات عند شاطىء البحر للقديس غريغوريوس اللاهوتي
10	الفريسيون
12	اصلبه اصلبه للقديس يوحنا الذهبي الفم
15	القديس نكتاريوس العجائبي
16	جُزنا بالنار والماء للقديس پاييسيوس الآثوسي
17	تداوس الرسول
18	كُن أُمًّا للمسيح للقديس سمعان اللاهوتي
19	العهد القديم ... (٩٢)
20	حروب العهد القديم للعلامة أوريجانُس
21	الأرثوذكسيّة قانون إيمان ..
22	جبل جرزيم
23	العظات الثماني عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
الغلاف الاخير	اصبع عازف البيانو

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

من عادات أهل إحدى بلاد الهند، أنّهم يُقيمون احتفالًا كل مئة عام، في ساحةٍ كان في وسطها صخرة مرتفعة، وحين يتمّ الاجتماع في ذلك اليوم، يخرج مُنَادٍ بين الناس قائلًا:

(ليتقدّم الآن ويصعد على هذه الصخرة مَن شَهِدَ مثل هذا الاحتفال منذ مئة عام). وحينئذ يسود الجمعَ صمتٌ عميق، وينتظرون حتّى يبرز منهم، رجلٌ عَبَثت به الأيام وَكرور الاعوام، فيتثاقل في مِشْيَتِه، ويصعد على الصخرة ببطءٍ، ويظهر أمام الناس منحني الظهر مجعّد الوجه، تكسو وجهه سحابةُ غَمٍّ مما لحقه من البلايا، ثمّ يتكلّم بحزن عما شَهِدَهُ في بحر المئة سنة الماضية، من سقوط ممالك، وانهيار عروش، وزوال أشخاص وفقدان الأحباء والأقارب، ويختم بقوله:

(كُل ما استطيع أن أقوله عن هذه الحياة إنّها **دار زوال**، فكل ما شهدته **زال** كما أني أيضًا **سأزول**، وسيأتي الاحتفال القادم، وأنا تحت التراب، وقد بَلَى لحمي وَفَنِيَ عَظمِي).

إنّك أيّها الانسان قد سُجِّلَ اسمك في سِجِّل المواليد وسيسجّل أيضًا في سجل الوفيات، وكما دخلت العالم بورقةٍ تسمّى (شهادة الميلاد) ستخرج منه بورقة تسمّى (تصريح دفن).. وكما دخلته عريانًا وألقوا على جسدك العاري بعض الخِرَق تُسمّى (أقمطة) سوفَ تخرج منه عُريانًا يلقون على جثّتك العارية بعض الخِرَق تُسمّى (أكفان).

كثيرون إذا ما نظروا أحدًا مات، يتوهّمون أنّ غيرهم يجري إلى الموت، أما هم فباقون في الحياة لا يموتون.

وَكثيرون من الذين غاب من أمام عيونهم اسم الموت، إذا قُلتَ لهم أنّ شخصًا مات، يُبدونَ تعجّبًا واستغرابًا ويتساءلون، **وكيف مات؟**

وكأنّك أخبرتهم بأمرٍ ليس من العادة وقوعه. ويعلّلون سبب تعجّبهم بأن يقول أحدهم: (لقد رأيته بالأمس) وآخر يقول: (كان من ساعةٍ واحدة واقفًا يتكلّم معي)، وثالث يقول: (منذ دقائق كان طالع السّلم بكامل صحّته).

فهم يظنّون بأن الموت عاجزٌ عن هدم قِوَى الانسان في لحظةٍ من الزمان.

إنّ غروب الشمس في كلّ يوم يذكّرنا بغروب شمس حياتنا وانتهائها. وهذا ما لاحظه بدقّةٍ رَجُلٌ جليلٍ يتمتّع بحكمة ووقار، يعيش حياة الإيمان الكامل بالمسيح يسوع، فكان في **ساعات الغروب** يجهّز القهوة على جمر البلوط والسنديان، وهو ينشد قائلًا:

غابت الشمس يا ابن شعلان

وأريد أدور معازيبي

والدّلة تسكب على الفنجان

وهيلِهَا يا جوزة الطيب

وعندما سُئِلَ لماذا يُنشد هذه الأبيات؟ فكان جوابه ثاقبًا، أولًا: لاستقبال الضيوف وإكرامهم وثانيًا: الاستعداد للرحيل، فقد جاوزت الثمانين حولًا، فها أنا جاهزٌ لاستقبال ربّي يسوع المسيح إذا دعاني لذلك أُنشد هذه الأبيات، لأُذَكِّر نفسي وقلبي وفكري بزوال هذه الدنيا، والاستعداد بجديّة لأكونَ كما يريدني رَبّي أن أكون. لأنّ الموت بالنسبة لي هو انتقال الى حياةٍ أفضَل مع المسيح يسوع.

ليس شيئًا في الدنيا معروفًا كالموت

وليس شيئًا مجهولًا كوقت الموت

المسيح سيدين الأحياء والأموات

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مُتْنَا تُرِكْنَا

لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيِّ

وَلَكِنَّا إِذَا مُتْنَا بُعِثْنَا

وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيِّ

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد رفع الصليب الكريم المحيي

«إن الموت الذي أصاب جنس البشر بواسطة ألاكل من العود قد آضمحلّ اليوم بالصليب. فإن لعنة آلأم الأولى التي لحقت بكل ذُريّتها قد نُقضت مُنحلّة بالفرع الذي نَبت من أم الله النقيّة، التي كُلّ قوّات السموات تعظمها».

أي أن الموت الذي صار للجنس البشري بسبب أكل الجدّين الأَوَّلَيْن آدم وحواء من ثمار الشجرة التي نهاهم الله عنها، قد أُلغي اليوم بواسطة قُوَّة الصليب، وذلك لأن لعنة حواء آلأم الأُولى التي اقتبلتها لعصيانها أوامر الله، قد آمتدت لكافة الجنس البشري. هٰذه اللعنة قد أُلغيت وانحلّت بالّذي وُلد من العذراء مريم والدة الاله أي المسيح، التي تُسبِّحها جميع القوات السماوية. هذا ما يُنظمه مرنم الكنيسة **القديس قُزماس أسقف مايوما**.

أيها الاخوة المحبوبون بالرب يسوع المسيح

أيها المسيحيون ألاتقياء

لقد أجتمعنا في هذا اليوم البهيّ المقدّس لنحتفل بعيد **رفع الصليب الكريم المحيي**، وبهذا الصدد نُصغي الى القديس بولس الرسول الذي يقول: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ.» (غلاطية ٦:١٤).

بحقٍ وعدلٍ يفتخر القديس الحكيم بولس الرسول **بالصليب**، وذلك لانه **بالصليب** قد **أُلغِيَ سلطان الموت والفساد، وأُبيدت الخطيئة** ، فقد دخل الموت الى جنس البشر بسبب الانسان كما يقول سليمان الحكيم في كتابه: « إِذْ لَيْسَ الْمَوْتُ مِنْ صُنْعِ اللهِ، وَلَا هَلاَكُ الأَحْيَاءِ يَسُرُّهُ.». (حكمة سليمان ١:١٣). «لكِنْ بِحَسَدِ إِبْلِيسَ دَخَلَ الْمَوْتُ إِلَى الْعَالَمِ». (حكمة سليمان ٢:٢٤).

يقول **القديس قُزماس أسقف مايوما** مرنم الكنيسة ناظم تسابيح هذا العيد، «إنَّ الموت الذي أصاب جنس البشر بواسطة آلاكل من العود قد آضمحلّ اليوم بالصليب»، وهذا ما يُؤكده **القديس بولس الرسول** في رسائله، أنه بواسطة عود الصليب، قد أُلغي الموت إذ يقول : «وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.» (فيلبي ٢:٨)، وأيضًا «عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ أَيْضًا. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ. » (رو ٦:٩).

ويستطرد **القديس أثناسيوس** في هذا المجال مُفسرًا قول القديس بولس: (لن يتسلّط عليه الموت من بعد ، لهذا قد صُلب المسيح لكي يشترينا من اللعنة ونرث نحن البركة).

وهذه البركة تنبُع من قُوَّة المصلوب المرفوع على الصليب أي المسيح الهنا، ومخلصنا الذي به نهضت طبيعتنا البشرية من سقوطها الى الارض، فتوطّنت في السماء، والذي يدل عليه بأجلى بيان مرنم الكنيسة **القديس قزماس** الذي يقول:

«إنَّ عود الحياة بآنتشاله اليوم من أعماق الارض، يحقّق قيامة المسيح الذي عُلّق عليه. وبرفعه بين أيدي الكهنة يُخبر بآرتفاع المسيح الى السماء، الذي به نهضت طبيعتنا من سقوطها الى ألارض. فلنهتفنّ عن شكرٍ قائلين: يا رَبُّ يا من رُفع عليه فرفعنا به معه, أَهِّلْنا نحن مسبحيك للفرح السماوي».

ويعلّم القديس بولس واعظًا بدالة « فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (كو

١٨:١). وبمعنى آخر فإن إعلان بشارة الصليب تُستبان لأُولئك الذين يسيرون في طريق الضلال بأنها **جهل وغباوة**، وأما لنا نحن الذين نسير في طريق الخلاص فهي **قُوَّة الله المنيرة والمُعينة والمُحْيِيَةُ والمُعَزِّيَةُ**.

وهنا أريد أن أُنوّه الى تعليم **القديس غريغوريوس بالاماس** حول الصليب إذ يقول: «بأن سرّ الصليب سرّ عظيم الهي، لماذا؟ وذلك لانه عندما ننظر الى الصليب، يظهر وكأنه يجلب الخزي والعار لمن هو مُقْبِلٌ لأن يُصلب عليه. ويَعْتَقِدُ ويَظُنُّ الناس أن هذا المصلوب عليه يُهين نفسه، ويحتقِرُ ذاته في كلِّ شيء، وانه يتألم بسبب ٱبتعاده عن الشهوات والملذات الجسدية، وعدا ذلك، أنه قد افتقر لأنه وزّع أمواله على الفقراء كإحسانٍ. ولكن بقوة الله هذا الفقر، وهذا الألم والخزي والاحتقار، سوف يُوَلِّد مجدًا أبديًا لا ينضُب، وشُكرًا لا يُسْبَر غوره لجميعنا نحن الذين لنا دعوة الخلاص».«أَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةُ اللهِ وَحِكْمَةُ اللهِ. لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!» (١كور ١:٢٤-٢٥).

فبواسطة قُوَّة الصليب العظيم « أُلغيت ونُقضت لعنة حواء الأم ٱلأولى بالذي وُلِدَ من النَقِيَّةِ العذراء مريم والدة الاله أي المسيح» يقول **المرنم القديس قُزماس**.

بكلام آخر أيها ٱلأحبة أنه بسبب قُوَّة الصليب العظيم قد تحرّرنا من لعنة الله التي وقعت علينا بسبب البتول ٱلأولى في الفردوس، أي حواء، ومن الجدير بالذكر ما يقوله **القديس يوحنا الدمشقي** بهذا الصدد:

« أنَّ المسيح قد جاء من بتولٍ عذراء وأنها لعجيبة عظيمة أن تبتدع وتستحدث الطبيعة البشرية هذا وان يتم تجاهل وتجاوز الزواج الطبيعي. ولكن لولا الصليب لما خلصت المرأه بتول الفردوس ٱلأولى بأعمالها، ولكن ٱلآن بصليب المسيح فقط خَلُصَتِ ٱلمرأة ٱلأولى، وشُفي الشرّ القديم بمواهب جديدة ».

حصل هذا كله بواسطة **الصليب الكريم** الذي نُعَيِّد لرفعه ممجدين وساجدين للمسيح ابن الله، ٱلصائر ٱبنًا للعذراء من ٱلروح القدس، ونسجد مكرمين للفائقة القداسة ٱلمُباركة العذراء مريم والدة الاله أم الله ومخلصنا يسوع المسيح.

اليوم يُوافي صليب الرب فيستقبله المؤمنون بلهفةٍ، وينالون به شفاء النفوس وٱلاجساد والبُرءَ من كل الأسقام، فلنُقبّله بفرحٍ وخوفٍ. أما بخوفٍ فمن الخطيئة التي بها نكون غير مستحقين، أما الفرح فبالخلاص الذي يمنحه للعالم المسيح الرب الذي سُمّر عليه العظيم الرحمة. آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

النُسك في حياة الرهبنة وبعضٌ من قوانينها

للقديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كبادوكية

✝ التخلّي عن ماديات العالم:

✝ سيرة النسّاك هدفها واحد وهو «خلاص النفس».

✝ فكل شيء يقيم نشاط خلاصِ النفس ينبغي أن يحفظوه، كوصيّة الله، فإنّ وصيّة الربّ لا تهدف إلّا إلى خلاص سامعيها.

✝ وكما أن الذين يدخلون إلى الحمَّام يتعرَّون من كلِّ ملابسهم، كذلك الذين يتقدّمون الى معيشة العبادة، يجب أن يتعرَّوا من هيولي (ماديات) هذا العالم أولًا.

✝ ثمّ يدخلون إلى السيرة المملوءة فلسفة (حكمة روحانيّة).

✝ ويجب على جميع المسيحيين أن يتعرَّوا من جميع آلام الشرور المختلفة (بتركهم محبّة العالم) التي تتنجّس بها النفس.

✝ ومن بعد هذا (التجرُّد) ينبغي للانسان أن ينظر إلى السيرة العالية، وَيَزْهَدَ في جميع مقتنيات الحياة.

✝ حياة الوحدة المشتركة، في محبّةٍ:

✝ فإذا فَضَّلَ كثيرون صورة الخلاص (خلاص نفوسهم في حال الرهبنة)، وارتضوا أن يعيشوا مع بعضهم (في الدير).

✝ فيجب – قبل كُلّ شيء – أن يكون لهم قلبٌ واحد، وإرادة واحدة، ورغبة واحدة، وأن يكونوا مُتَّفِقين مع بعضهم (بلا خصام أو ٱنقسام) وإن كانوا أعضاء مختلفين (بالأعمار والروحانيات).

✝ ولا بُدَّ أن يُقَام هذا الناموس (يُطَبَّق هذا النظام) في الأخوة المجتمعين (في دير) أَلَّا يَدَّعِي أحدٌ بأنه يملك من اللباس أو الأواني أو الآلات؛ وبالجملة جميع أصناف الحاجات تكون باسم واحد مخصوص من الأخوة، أي أنّها لا تكون له وحده، بل لحاجة المَجْمَعِ كلّه.

✝ ولا يَبقَى شيء لِصَاحبه، الذي أتى به إلى المَجْمَعِ ، خاصًا به دون باقي الأخوة. (كما يذكر سفر أعمال الرسل أنّ الكنيسة الأولى

كانت تعيش بحياة الشَرِكَةِ، فكان كُلُّ شيء مُلكَ الجميع، وكان يتم التوزيع على كُلّ الأعضاء، كلٌ حسب احتياجه. أع ٤: ٣٥).

† وكما أنّ الثوب القصير لا يَصْلُحُ أن يلبسه الجسد الطويل، بل الذي يصلُح هو أن يلبس الجسد بمقداره، حسب ما يوافقه وينفعه.

† كذلك للكُلِّ نصيبه في جميع الأمور التي للشركة: كالأَسِرَّةِ والمناطق (الأحزمة) والأحذية وغيرها، فيكون لكل واحد حِصَّته حسب احتياجه، لا لصاحبه الذي أتى بها للدير.

† وكما أنّ المريض يستعمل الدوَّاء (المُرّ) وليس الدَّواء (الطَّيب والهَنِيّ) لعلاج أمراضه. كذلك أيضًا في الأمور التي تريح الجسد، فتُعطَى للذي يتطلَّب جسده قسطًا من الراحة لأسبابٍ وجيهةٍ، وليس للاسترخاء من بعض الأخوة الأصحاء، طَلَبًا للهدوء والسكينة. فقلوب الناس وأفكارها مختلفة.

✝ المرشد السليم:

† ليس لكل واحد أن يُشير (على نفسه) بما ينفع، لئلا تسير حياته بأسلوبٍ غير سليم، بل يجب أن تُطيع نفسُهُ مُرْشِدَهُ الذي حَظِيَ من الكلّ، بالسيرة الحسنة والفضيلة المختارة.

† وهذا (المرشد الحكيم) عليه أن يكون مُهَذِّبًا للباقين، فيسكب من فضيلة الخير التي اقتناها بالجِّهاد الحَسَن– خبراته الروحانية – للأخوة جميعًا، فيتشبهون به، فأنَّ المصوّرين (الرسامين) إذا رسموا وجه واحدٍ، فإنّ الصُّوَر تكون متشابهة.

† وعندما يختارون شخصًا (بإلهام الروح القدس) ويقيمونه (رئيسًا للدير) فيجب على لأخوة التمسّك بفضيلة الطَّاعة بتنميمهم إرادة رئيس الدير (**تدبيره**) بحبٍ واحترامٍ ووقار. كقول الرسول بولس: «كلّ الأنفس فلتخضع للسلاطين (السلطات أو الرؤساء) العالية، والذين يقاومونهم (يعاندونهم) ينالون دينونة».

† والخضوع الحقيقي للذين يتتلمذون على أيديهم، لا يبتعدون عن الشرّ، كما يأمرهم (المرشد) فقط، بل والخير لا يعملونه دون مشورته وتعليمه، لأنّ النُسك (التدريب والجهاد الروحاني) وإن كان جميعه نافعًا، إلَّا أنه إذا عمله واحد بإرادته وحده، دون أن يطيع مُعلّمه، فإنّ خطيئته تكون أعظم، لأنّ الذي يُقاوم السلطان (السلطة الدينية) يقاوم حدود (نظام وشرائع) الله، وأجر الطاعة أعظم من إقامة (تداريب) النُسك (الجهاد الروحاني).

✝ أهمية المحبة في المجمع الرهباني:

† ويجب أن تكون محبّتهم لبعضهم متساوية، كما يساوي الانسان جميع أعضائه بمحبة، وإذا تَأَلَم عضو فيتألَّم سائر الجسد. هذا من جهة المحبّة.

† أما من جهة الكرامة، فهناك عضو أكرم من عضو، لأنّ اصبع القدم ليس مساويًا للعين، وإن كان الجسد كلّه يتألّم بألم كلّ واحدٍ منهما.

† ومن **الظلم** وجود قوم في المجمع الرهبني مرتبطين ببعضهم (**شلّة واحدة**) بعيدًا عن غيرهم، لأن الذي يؤثر واحدًا على الآخرين، فهو يُظهِر أنّ المحبّة الكاملة – في الكُلِّ – ليست فيه.

† فيجب أن يَنْبُذَ المجمع كُلّ خصام وشِقَاق، وأن يهتمّ بإنماء أواصر المحبّة، والأُلْفَة والإخلاص بين الأخوة، فلا تفضيل فيما بينهم.

† وكما تتسبَّب العداوة من الخصام، يتسبَّب الحسد والغيرة والكراهِيَّة، من الذين احتقروا هذه المحبة.

† ولأجل هذا أوصانا الربّ أن نتشبّه بصلاح الذي يُشرِقُ شمسَهُ على الصالحين والطالحين (محبّة الله للبشَر).

† فالموضع الذي تكون فيه المحبة الناقصة (محبة البَعض دون الكلّ) فالبَغضاء تحلّ فيه.

† وإذا كان الله هو «المحبّة» كما قال الرسول القديس يوحنا اللاهوتي؛ فإبليس هو البغضاء (فالمُبغِض للناس ليس من الله بل من إبليس). وكما أن الذي فيه المحبة يكون الله له، كذلك الذي له بَغضَاء، فقد أسكن إبليس فيه.

† وإن كانت المحبة ثابتة هكذا (حبٌ لجميع الناس) فإنه لا تظهر محبة القريب بالجسد، حتى ولو كان ابنًا أو أخًا (أكثر من محبة الله).

† والذي يُغلَب، ولا يمتلك المحبّة للجميع، يجلب على نفسه لومًا، لأنه لم يحتَطْ من ضَعْفِ طبيعَتِهِ (لأنّ الجسدانيات تقاوم الروحانيات)، فَتُسيطر عليه الأفكار الجسدانية (محبة الأهل).

«فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟» (لو ١٢: ٢٠)

وَٱبْتَغَيْنَا مِنَ ٱلْمَعَاشِ فُضُولًا
لَوْ قَنِعْنَا بِدُونِهَا لَاكْتَفَيْنَا
وَلِعَمْرِي لَنَمْضِيَنَّ وَلَا نَمْضِي بِشَيءٍ
مِنْهَا إِذَا مَا مَضَيْنَا
عَجَبًا لِامْرِيءٍ تَيَقَّنَ أَنَّ ٱلْمَوْتَ
حَقٌّ فَقَرَّ بِٱلْعَيْشِ عَيْنَا

قطع رأس القديس يوحنا المعمدان

للقديس يوحنا الذهبي الفم
رئيس أساقفة القسطنطينية

الرسالة: (أع ١٣: ٢٣-٣٣)

† « من نسل داود حسب الوعد أقام الله لاسرائيل مخلّصًا يسوع إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعموديّة التوبة لجميع شعب إسرائيل. لمَّا بلغ يوحنا قَضَاءَ سَعيه طفق يقول: من تحسبون أني أنا؟ لستُ أنا إيّاهُ ولكن هوذا يأتي بعدي مَن لا أستحق أن أحلّ حذاء قدميه» (أع ١٣: ٢٣-٢٥).

في عظته في مجمع **إنطاكية (بيسيديا) اليهوديّ**، يذكر بولس الرسول هنا **يوحنا المعمدان** الذي **يشهد ليسوع**.

﴿ المقطع ١٣: ٢٥-٣٣ هو جزء من عظة بولس الرسول في إنطاكية بيسيديا من آسيا الصغرى (راجع أع ١٣: ١٣-١٦)﴾

أقام الله من البيت الملكيّ الشهير عند اليهود، بيت داود، «قَرن خَلاص في بيت داود عبده» (لو ١: ٦٩). حسب الوعد الآتي بالمزامير. «إنّي من ثمرة بطنك أُجْلِس على كُرسيّك» (مز ١٣١: ١١).

ولدَى أرميا النبيّ: «ها إنَّها تأتي أيّام يقول الربّ أُقيم فيها لداود نبتًا صدّيقًا وَيَمْلُك مَلِكٌ يكون حكيمًا ويُجري الحُكم والعدل في الأرض» (أر ٢٣: ٥). ليخلّصهم من أعدائهم ومن خطاياهم.

كان يوحنا معروفًا حتَّى بين يهود الشتات لأنّ بولس وجد تلاميذ ليوحنا في أفسس (راجع أع ١٨: ٢٥ ، ١٩: ٣).

لا يعطي السّابق شهادةً ليسوع عن طريق الصدفة، بل ليُبعِد المجد عنه بينما كان الجميع ينسب المجدَ هذا للسّابق.

عندما لا يوجّه أحدٌ الإكرام لنا فنُبعد المجدَ عنّا هذا شيء، وعندما يوجّه الكثيرون لنا المجدَ لنا، فنبعده عنّا فهذا شيء آخر قطعًا. ليس فقط هذا بل أيضًا عندما تكون الرسالةُ مهمّةً كما كانت لدى **السّابق القديس يوحنا المعمدان**.

كان يوحنا في أوج نشاطه والجموع تأتي إليه بإعجاب ورجوات كبيرة، ومع ذلك لم يتأثّر بالتيّار الشعبيّ بل حاول كما رأينا إبعادَ كلّ مجد عنه، شاهدًا لعظمة الربّ يسوع المسيح. في هذا كلّه يكمن سموّ نفس **يوحنا المعمدان**. هذا ما يحدث مع **الرجال الكبار المكرّسين لله، إذ يبقون على تواضعهم وطاعتهم للربّ بدون أن يتأثّروا بمحيطهم خصوصًا عندما يُمدحون**.

﴿ « مَن تحسبون أني أنا؟ لستُ أنا إيّاه » ظَنّ اليهود أنّ يوحنا هو المسيح المنتظر. أمّا يوحنا فقد «اعترف ولم يُنكر وأقرّ أنّي لستُ أنا المسيح» (يو ١: ٢٠) .

«هوذا يأتي بعدي». **يوحنا هو السّابق** وهو أكبر من **يسوع** بستّة أشهر ويُدعَى «صوت الكلمة».

«لا أستحق أن أحلّ حذاءَ قدميه» – هنا يذكر بولس أقوال الإنجيليين بتصرّف لا حرفيًّا – (متى ٣: ١١ ، مر ١: ٧ ، لو ٣: ١٦ ، يو ١: ٢٧). هنا يعتبر يوحنا نفسه أقلّ من العبد رتبةً الذي كان يحلّ حذاءَ معلّمه. وكأنه يقول: لستُ مستحقًّا أن أكون عبدًا للمسيّا. إلى هذا الحدّ هو أرفع منّي﴾.

† « أيّها الرجال الأخوة بني جنس إبراهيم والذين يتّقون الله بينكم، إليكم أُرسِلَت كلمة هذا الخلاص. لأنّ الساكنين في أورشليم ورؤساءَهم من حيث إنّهم لم يعرفوه ولا أقوال الأنبياء التي تُتلى في كلّ سبت أتمّوا بالقضَاء عليه. ومع أنّهم لم يجدوا عليه علّة للموت طلبوا من بيلاطس أن يُقتَل» (أع ١٣: ٢٦-٢٨).

من بين السّامعين هناك اليهود والمهتدون خائفو الله. «أيّها الرجال الاخوة بني جنس إبراهيم». يدعو هنا اليهود باسم أبيهم. «إليكم أُرسِلَت كلمة هذا الخلاص». الكلمة «إليكم» لا تفصلهم عن اليهود الباقين، بل تميّزهم عمّن قتلوا المسيح «ساكني أورشليم ورؤساءهم». هذا ما يتّضح من الآية التالية.

الاتهامُ كبيرٌ إذ إنّهم لم يفقهوا كلام الأنبياء على الرغم من سماعهم

له باستمرار مَتْلُوًّا في المجامع في كلّ سبت. الأمر ليس بجديد وبعجيب، لأنّ كلّ ما قيل لهم خلال وجودهم في مصر وفي الصحراء يكفي ليُظهر عدَم شُكرهم.

لكن كيف يقول: «لم يعرفوه» في حين أنّ **يوحنا المعدان** كان قد كرز بمجيئه؟ لم يعرفوه بل «أنكروه» فكانت بذلك خطيئتهم. لا عجب في هذا إذ لم يشاؤوا الاعترافَ به بعدما كرز به الأنبياء علانيةً. الساكنون في أورشليم، المركز الديني لإسرائيل، ورؤساؤهم بدل أن يتقبّلوا المسيّا رفضوه، وأصبحوا مضطهديه بل قاتليه. عندما أخذ الرسل بالكرازة به، لم يخفوا القتل المشين بل أعلنوه مسيحًا مصلوبًا ومُجَرَّبًا من شَعبه. **هنا يَعْرِضُ بولس أمام يهود الشتات سرّ الصليب بكامله، من خلاله يَظْهَر المسيح حكمةَ الله وقوّته.**

هناك إذًا اتّهامٌ آخر: «لم يجدوا عليه علّةً للموتِ» هذا لم يحصل بداعي عدم المعرفة. حتّى وإن لم يعتبروا أنه المسيح لكن **لِمَ قَتلوه؟** «طلبوا من بيلاطس أن يُقتَل». اهتمامهم كلّه كان مُركّزًا على قَتْلِه. ذكر بولس طريقة تسليمه للموت، مُظهِرًا بذلك قَصدهم الشرّير إلى جانب خطيئتهم بتسليمه إلى حاكمٍ غريب. لم يَقل إنّ الحُكم حصل بدون تدخّل، بل بعد إلحاحهم على قتله. لقد استجاب بيلاطس على الرغم من عدم إيجاد علّة للموت. هذا ليقف على ظاهرهم، ما ذكره بطرس الرسول بشكل واضح:

«إنّ إله إبراهيم وإسحق ويعقوب إله آبائنا مجّدَ فتاه يسوع الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكمٌ باطلاقه» (أع٣:١٣).

† «ولمّا أتمّوا كلَّ ما كُتِبَ عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر. لكنّ الله أقامه من بين الأموات» (أع ١٣ :٢٩–٣٠).

لاحظوا كيف أنّ الرسول بولس، مُلْهَمًا من الروح القدس، يكرز باستمرار **بالآلام، وبالقبر والقيامة**. يصوغ الكلام مستعينًا بالحاضرات، وبالأنبياء، بالمزامير وبالموعد الذي وعد الله بإرساله (أع ٣٢:١٣–٤١).

كُل ما كُتِبَ لدَى موسَى والأنبياء والمزامير أتمّه يسوع من خلال آلامه، موته وقيامته بأتمّ التفاصيل: «اقتسموا ثيابي فيما بينهم وعلى لباسي اقترعوا»، «أعطوني في عطشي خَلًّا...».

هذا كلّه يصوّر انفصالنا عن العالم، **عالم الخطيئة والشهوات الرديئة**. نحن في المعموديّة ننفصل عن العالم، ونُدفَن مع المسيح مُميتين أعضاءنا التي على الأرض، لنحيا حياةً جديدةً معه.

لا تتعجّبوا من قوله: «إنّ الله أقامه». يسوع هو الكلمة المتجسّد، قوّة الله الآب والمساوي له في الجوهر والألوهة. **كأنّه يقول لقد أقام نفسه بقوّته الإلهيّة.**

هنا يكرز الرسول بولس بقيامة الربّ يسوع المسيح، أساس البشارة الإيمانيّة. **الكنيسة بدون المسيح القائم جسدٌ برأس ميت.**

† «وتراءى أيّامًا كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، وهم شهود الآن عند الشعب. ونحنُ نبشّركم بالموعد الذي كان للآباء، بأنّ الله قد أتمّه لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع» (أع ١٣ :٣١–٣٣أ).

يذكر هنا الرُسل كشهود للقيامة. – (راجع أع١:٨ ، ٢:٣٢ ، ٣:١٥ ، ٥:٣٢ ، ١٠:٣٩–٤١ **خطاب بطرس في قيصريّة فلسطين**) – فيما يلي يذكر داود الذي يُعطي الشّهادةَ نفسها «وَلاَ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا» (أع١٣:٣٥، مز١٥:١٠). يدعم كلامه من القديم والجديد.

كان اليهود يسودهم الخوف والخجل، إذ أماتوا الربّ وضميرهم يوبّخهم. لذا لم يكلّمهم الرُسل وكأنّهم قاتلو المسيح الغريب عنهم، بل وكأنّهم حاصلون من خلال صوته وقيامته على خير جزيل. كان اسم داود عزيزًا عليهم، لذا يذكره الرسول بولس باستمرار (أع١٣:٣٤–٣٦). وكأنه يقول لهم أنتم تملكون من خلال ابنه، لذا لا تبتعدوا عنه كعميان.

«هم شهود الآن عند الشعب». هذا الشعب نفسه الذي قتله. لن يكونوا شهودًا لو لم يتثبّتوا من القيامة عن طريق قوّة إلهيّة، وإلّا كيف يشهدون أمام أُناسٍ قاتلين؟

لماذا لم يتكلّم عن غفران الخطايا الحاصل في المسيح؟ لأنه **أراد أن يشدّد أوّلًا على القيامة**. فإذا آمن الشعب بها، يسهل عندئذ الإيمان بغفران الخطايا عن طريق المسيح. عندها لم يَعُد الموت غيابًا بل إتمامًا للنبوءات. يُذَكّرهم بالتاريخ الذي جهلوه، لذا وقعوا في شرور كثيرة.

«نبشّركم بالموعد الذي كان للآباء» (أع ١٣:٣٢). الموعد الذي تقبّله الآباء. أمّا أنتم فعليكم أن تقرّوا بأنه قد تمّ على يد يسوع المسيح: **الوعد للآباء والعمل لكم**. مما يجلب لكم الفرح بالخبر السّار.

«لنا نحن أولادهم»

يوجّه هنا إكرامًا كبيرًا للذين ورثوا مواعيد الربّ. كرازته تؤكّد على إتمام المواعيد التي أُعطِيَت للآباء.

«إذ أقام يسوع»

يُشير هنا إلى إتمام الوعد الذي أُعطِيَ قديمًا للنبي موسى (راجع أع ٣:٢٢ ، ٧:٣٧). «فإنّ موسى قال للآباء إنّ نبيًّا مثلي سيقيم لكم الربّ، إلهكم من اخوتكم» (تث ١٨:١٥ ، ١٨).

«فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ» (إنجيل متى ٥: ٤٥)

لَوْ كُنْتَ بِٱلْعَقْلِ تُعْطَى مَا تُرِيدُ بِهِ
لَمَا ظَفَرْتَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِمَرْزُوقِ
رُزِقْتَ مَالًا عَلَى جَهْلٍ فَعِشْتَ بِهِ
فَلَسْتَ أَوَّلَ مَجْنُونٍ وَمَرْزُوقِ

أعتدتُ وقت الغروب أن أتنزَّه وحدي بِمُحَاذَاةِ شاطئ البحر. هذا ما كنت أفعله دائمًا عند احتياجي للسكينة والهدوء، لأُعطي عقلي قسطًا من الرَّاحة. بل وغيرُ محبَّذٍ أبدًا أن يبقى وتر القوس مشدودًا باستمرارٍ، إذا مُتِحَ بِشِدَّةٍ. بل يجب أن يُحَّل قليلًا من أسنانه قبل أن يتم شدّه مرّة أخرى، حتى لا يفقد رامي السهام، النجاعة المرجوَّة من القوس عند الحاجة. لذلك كنت أتمشى، وبينما كانت أقدامي تنقلني على طول الشاطئ، أبقيت عيوني شاخصة على البحر، لم أجد بهجة فيه، إلَّا أنه في الأوقات الأخرى عندما كان يتحول سطحه الهادئ إلى أحمر قانٍ، ويتلامس مع الشاطئ في مِزاجٍ حُلوٍ لطيفٍ، يثلج صدري بهجةً.

في هذا الوقت خاصة – أبتهج بإضافة كلمات الكتاب المقدس – « وَهَاجَ الْبَحْرُ مِنْ رِيحٍ عَظِيمَةٍ تَهُبُّ. » (يونا ٦ : ١٨) . وكما يحدث عادة في مثل هذه العواصف، بدأت الأمواج بالارتفاع في عمق البحر، وبعد ان بلغت الذروة بشكل تدريجي، تموجت على الشاطئ وتلاشت. بينما كانت أمواج أخرى تتحطَّم على الصخور القريبة، ثم تنسحب هاربة للوراءِ، متبعثرةً رغوةً ورذاذًا لطيفًا. في تلك البقعة، كان الحصى والنباتات البحرية، والأصداف وأنواع المحار الصغيرة تنزاح من مكانها وتندفع بعيدًا، والبعض منها كانت تقذفه الأمواج إلى البحر، كلما انحسرت راجعة. أما الصخور فهي ثابتة راسخة لا يزعزعها شيءٌ، ترتطم بها الامواج فَترتَدّ مزبدةً.

أثارني هذا المشهد بأهميته وقيمته الكبيرة. وأنا أُحاول أخذ رسالة شخصية في كل شيء يقابلني، خاصة عندما تقع بعض الأحداث المثيرة، التي تنبّه عقلي وتحفّزه متفرّسًا فيها، كما حدث امامي في هذا اليوم، لم يَكُن هذا المَشهد عَرَضِيًا لي. ما رأيته كان إعلانًا وإلهامًا لي.

قلتُ لنفسي، أليست حقًا حياتنا وشؤوننا الإنسانية عمومًا، ما هي إلَّا بحرٌ يحتوي على مرارة كثيرة وعدم استقرار؟! وأليست الرياح والعواصف هي بمثابة التجارب التي تقع علينا، وكل الأحداث غير المتوقعة التي تصادفنا ؟

أعتقد أن النبي داود – الأكثر روعة – كانت تراوده أيضًا هذه الأفكار عندما قال:«خَلِّصْنِي يَا اَللهُ، لأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي. غَرِقْتُ فِي حَمْأَةٍ عَمِيقَةٍ، وَلَيْسَ مَقَرٌّ. دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ، وَالسَّيْلُ غَمَرَنِي.» (مز٦٨: ١-٢).

بدا لي الناس المُعَرَّضِين للتجارب ينقسمون إلى مجموعتين:

١– البعض تجرفه التجارب مثل العناصر الخفيفة جدًا عديمة الحياة، دون بذل أي مقاومة تجاه الاعتداءات الواقعة عليهم، إذ يفتقرون قوة المقاومة، ويفتقرون أيضًا الى التعقل والحكمة حتى لمجابهة الحوادث الآتية عليهم.

٢– البعض الآخر صخرٌ، جديرٌ بذاك الصخرة (الربّ يسوع) الذي عليه نقف وإليه نتعبَّد. أي أولئك الذين يتبنَّون نمطًا فلسفيًا في الحياة، ويرتفعون فوق عامة الناس، ويقفون بثبات أمام الهجمات صامدين غير مُزَعْزعين.

وصلتُ إلى هذا التفكير، ثم تذكرت صورة أخرى تلائم تمامًا موضوعنا الحالي. ربما تظنونني شيخًا ثرثارًا راويًا للقصص، لكن يجب أن أخبركم بها على أية حال، فالكتاب المقدس أيضًا كثيرًا ما يستخدم مثل هذه الوسائل لتوضيح المعنى.

هناك نبات أسطوري يُزهر عندما يُقطَّع ويُقبض عليه بآلة صلبة، فهو ينبعث حيًا إلى الحياة في موته، وينمو بالتقطيع، ويتقوى بالإضعاف. هذه هي القصة، وأنا أعتقد بكل وضوح أن الفيلسوف (الحقيقي) هو شبيه بهذا المخلوق. فهو ينمو في القامة من خلال المآسي، ويجعل من المشاكل مادة للفضيلة، ويربح المجد بواسطة المِحَن، فلا يتشامخ بأسلحة البِرِّ التي لليمين، ولا ينكسر بالتي على اليسار (٢ كو ٦)، لكنه يكون كما هو دائمًا في وسط التغيير، أو بالأحرى يصبح أكثر قيمة مثل الذهب الذي يتنقى في النار.

هل هو شابٌ؟ تجده يحارب أهواءه برجولة، وتكون متعة شبابه الحقيقية لشبابه، لا في الاستسلام لإغراءات الشباب، بل بإظهار رزانة ناضجة بجسد في أوج نشاطه، والنصرة تكون لها معنى كبير بالنسبة له، أكثر من أولئك الذين يتوَّجون في الأوليمبياد، لأن نصرته تتوّج في الحلبة العامة التي للعالم كله، والتي لا يمكن شراؤها بأي ثمن.

هل هو أقرب إلى الشيخوخة؟ لا بأس، فروحه لن تشيخ معه. سوف يُرحَّب بساعة انطلاقه، كما لو أنها ساعة مُعيّنة ممنوحة له للتحرّر، وسوف يذهب بسرور إلى العالم الآخر، حيثما لا يوجد أحد

صغير جدًا ولا أحد كبير، بل يكون الجميع كاملين في نضج الروح.

هل هو فاتن جسديًا؟ جمال جسده سوف يكون انعكاسًا باهرًا لجمال روحه.

هَلِ السنوات تركت نضارته كما هي؟ تجده يُركز على انسانه الداخلي، غافلًا عن حملقة الناس.

هل هو غير جذاب في مظهره؟ على الرغم من ذلك تجده جميلًا في داخله، تمامًا كأوراق كأس الزهرة بلا لمعان أو رائحة، إلا أنها تخفي في ذاتها وردة رائعة جدًا لها شَذا جذّاب.

هل هو أَبْرَعُ جَمَالًا مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. (مز٤٤: ٢)؟ تجده لا يعطي فرصة للمشاهد أبدًا وخاصّة التأمّل بمظهره، بل يحول انتباهه إلى الإنسان الداخلي.

هل يتمتع بصحة جيّدة؟ سوف يستخدمها لأفضل هدف: سوف ينصح، سوف يوبخ، سوف يتكلم بما في عقله، سوف يسهر، سوف ينام على الأرض، سوف يصوم، سوف يتجنب كل شيء جسداني، سوف يتأمل الأمور الأرضية والأمور السماوية، وبكل تقوى سوف يتذكر الموت.

هل يمرض؟ تجده يُغالب مرضه، حتى ولو تغلب عليه المرض، تكون له هو الغلبة والمكافأة تكون حقيقة أن كفاحه قد وَلَّى.

هل هو غني؟ تجده يُكرس نفسه لتوزيع ثروته، يوزع ما له للمحتاج كوكيل على بضائع ليست له، لكي يفيد المحتاج بالمشاركة ويستفيد هو بتبعية الله حاملًا لا شيء سوى صليبه وشخصيته.

هل هو فقير؟ تجده غنيًا بالله، ساخرًا من الأغنياء لكونهم يزدادون غِنى ومُلكًا، ومع ذلك يظلّون في احتياج، كالماء المالح الذي لا يَروي الظمآن، فيشربون لكي يزدادوا عَطَشًا .

هل يجوع؟ سوف يتم إطعامه مع طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد (مت ٦)، سوف يعيش مع إيليا في صرفة، «إِنَّ كُوَّارَ الدَّقِيقِ لاَ يَفْرُغُ، وَكُوزَ الزَّيْتِ لاَ يَنْقُصُ» (١ مل ١٧)، الكوز سوف يتدفق مثل المياه دائمًا، والكوّار سوف يتكاثر بدون تقتير، لكي تُكرَّم المرأة المضيافة وَتُقَدِّمَ المؤازرة لمن آزرها.

هل يعطش؟ الينابيع والأنهار تكون شرابه، شراب لا يسبب السكر ولا يُقتصَدَ فيه، وإن انحسر الكل بسبب الجفاف، سيل مياه جارف سوف يروي عطشه بلا شك.

هل يبرد؟ هكذا كان بولس (٢ كو ١١) ولكن إلى متى؟ حتى الصخرة يمكنها توفير بعض الغطاء. « وَلِعَدَمِ الْمَلْجَإِ يَعْتَنِقُونَ الصَّخْرَ.» (أي ٢٤) كما قال أيوب.

لننظر أيضًا إلى الأمور التي لها علاقة بالسُّمو الروحاني.

هل يُشتَم؟ سوف يسود بعدم رد الشتيمة بشتيمة.

هل يُضطهد؟ سوف يتحمل الاضطهاد.

هل يُفترى عليه؟ سيسعى للمصالحة.

هل يتم تشويه سمعته؟ سوف يُصلي.

هل سيُضرب على الخد الأيمن؟ سوف يحوِّل الأيسر أيضًا، ولو كان عنده خد ثالث لقدمه أيضًا، حتى يمكنه أن يرشد من هاجمه بشكل أفضل في طول أناة، مُعلمًا بمثال ما لا يستطيع تعليمه بكلمات.

هل يُنتقد ويُهان؟ هكذا احْتَمل للمسيح. فتكون الإهانة شرفًا له إذ يشترك في خبرة المسيح، سواء أن دُعِيَ سامريًا أو اتّهم أن به شياطين (يو ٨)، سوف يقبل كل ما يأتي عليه بمعونة الله، فالله معه. ومهما تألم الكثير لن يجابه الكثير: **خل، وقاحة، إكليل شوك، قصبة، رداء قرمزي، صليب، مسامير، لصوص تُصلب معه، سخرية المارين. إذ أن الله ينتصب حقًا أعلى من الجميع في احتماله للإساءة القصوى.**

لا شيء أكثر ثباتًا، لا شيءٌ منيعٌ حصينٌ مثل هذه الحياة الفلسفية (الإنجيلية). كل شيء يخضع أمام صمود الفيلسوف الحقيقي. يقول **أيوب** أن هناك في البرية حمارًا وحشيًا حُرًّا غير مربوط، «يَضْحَكُ عَلَى جُمْهُورِ الْقَرْيَةِ. لاَ يَسْمَعُ زَجْرَ السَّائِقِ». وهناك ثورًا وحشيًا حُرًّا، «أَيَرْضَى الثَّوْرُ الْوَحْشِيُّ أَنْ يَخْدُمَكَ، أَمْ يَبِيتُ عِنْدَ مِعْلَفِكَ؟ أَتَرْبِطُ الثَّوْرَ الْوَحْشِيَّ بِرِبَاطِهِ فِي التَّلْمِ، أَمْ يُمَهِّدُ الأَوْدِيَةَ وَرَاءَكَ؟» (أي٣٩: ٩-١٠).

حقًا إن نجح الإنسان في تحرير ذاته من جميع أمور هذا العالم، تتكوّن له أجنحة مثل أجنحة النسر، فيعود إلى منزل سيّده، ويطير صاعدًا إلى الله (إش ٤٠: ٣١).

بئر لحي رئي: ومعناها " بئر (الله) الحي الذي يراني" أو "الذي يراني حي" (تك ١٦: ١٣ و١٤) وهي عين ماء في البرية في طريق شور ، حيث ظهر ملاك الرب لهاجر جارية سارة امرأة إبراهيم (تك ١٦: ٧). وهنا أيضًا سكن أسحق زمنًا (تك ٢٤: ٦٢ ، ٢٥: ١١). وهي تقع بين قادش وبارد (١٦: ١٤) ويري رولاند أنها هي (عين مويلح) (التي يرى أنها تحريف للعبارة « ماء الحي») على بعد نحو ٥٠ ميلًا إلى الجنوب من بئر سبع ، و ١٢ ميلًا إلى الغرب من (عين قادش).

أولًا: الاسم: يُعتقد أن اللفظ فريسي مشتق من الكلمة العبرية فَرَش بمعنى فَرَزَ أو عَزَلَ أو فَصَلَ، وعليه فالفريسيون هم المنفرزون أو المنعزلون، ولكن لا يُعْرَفُ على وجه اليقين أصل هذه الطائفة من اليهود، ومن ثم لا يُعرف أصل الاسم، فالانفراز أو الانعزال الذي يتضمنه اسمهم، قد يكون انفصالًا عامًا عن كل نجاسة، أو انفصالًا عن العالم، أو قد يكون مرتبطًا بموقف تاريخي معين. فمثلًا لعل الفريسيين نشأوا تعبيرًا عن التجنب الدقيق لكل العوائد الوثنية في زمن **عزرا ونحميا**، أو عن رفضهم لاتّباع الأساليب اليونانية، رغم التهديد بالموت في زمن **أنطيوكس إبيفانس**، أو نتيجة الخلاف الذي حدث بعد إعادة الاستيلاء على الهيكل في **١٦٥ ق.م.** بين المكابيين والأتقياء أو الحسيديين الذين كانوا على استعداد للمحاربة لأجل الحرية الدينية، ولكن ليس من أجل الاستقلال السياسي. لقد ثارت كل هذه الاحتمالات عن نشأة الفريسيين، وقد يكون في كل منها شيءٌ من الحقيقة، ولكن ليس من سبيل للجزم بأيٍّ منها.

ثانيًا – تاريخهم: ظهر اسم الفريسيين لأول مرة في عهد حكم **يوحنا هركانس** (١٣٥- ١٠٤ق.م.)، ويقول **يوسيفوس** إنه كان لهم نفوذ كبير على الجمهور في ذلك الوقت. وقد كان **هركانس** نفسه واحدًا منهم، ولكن حدث سوء تفاهم بينه وبينهم، فانسحب منهم وانضم للصدوقيين. ويضيف **يوسيفوس** قائلًا إنه نتيجة لهذا كرهت الجموع **هركانس** وأبناءه. كما يقال إن **هركانس** ألغى بعض القوانين التي وضعها الفريسيون للشعب. ويذكر **يوسيفوس** أن **الفريسيين** وضعوا للشعب بعض **القوانين** التي قالوا إنهم تسلموها عن الأجيال السابقة، ولكنها غير مسجلة في شرائع موسى. ولذلك كان ينكرها **حزب الصدوقيين**.

وما ذكره **يوسيفوس** يقدم لنا مفتاحًا لمعرفة مفهوم الفريسيين من التمسك بالتقليد واستمرارية نمو الشريعة الشفهية. كما يرينا أيضًا أنه في زمن **هركانس** كان الفريسيون حركة نَشِطة ذات نفوذ شعبي كبير. كما أن الإشارة إلى التمسك بالقوانين التي تسلموها عن الأجيال السابقة، تدل على تواصلهم بالماضي. ولذلك فالذين يرجعون بأصل الفريسيين إلى **الحسيديين** الذين حاربوا إلى جانب يهوذا المكابي إلى وقت تدشين الهيكل (١مك ٢: ٤٢- ٤٥، ٧: ١٣- ١٥، ٢مك ١٤: ٦)، قد يكونون قريبين جدًا من الحقيقة، ولو أن بعض جذورهم قد ترجع إلى ما قبل ذلك بكثير. فالفريسية –كما نعرفها من المصادر المتاحة– يبدو أنها ظهرت في الوجود كأحد ردود الفعل اليهودية، في مواجهة محاولة نشر الثقافة اليونانية في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد. وفي العصور التالية، عندما أصبحت الفريسية هي لسان حال اليهودية، ملأوا الفجوات التاريخية، حتى أصبحوا يعتقدون أن الشريعة الشفهية ترجع إلى موسى نفسه، من خلال يشوع والشيوخ والأنبياء، ورجال المجمع العظيم الذي أسسه عزرا، ورجال مثل سمعان البار وأنتيجونس الذي من سوكو (من القرنين الثالث والرابع ق.م.)، إلى زمن المعلمين **المزدوجين** (مثل: شمعيا وأبتاليون، وهلليل وشمعي) والمعلمين (الربيين) الذين جاؤوا بعدهم. ومما هو جدير بالملاحظة، أن ظهور المعلمين **المزدوجين** حدث تقريبًا في نفس الوقت الذي بدأ فيه ظهور الفريسيين حسب المصادر المتاحة لنا. ومن المحتمل جدًا أن بدايتهم كانت في عصر المكابيين، رغم ادّعائهم بأن أصولهم تعود إلى أسلاف مثل عزرا، من الذين تمسكوا بالتوراة وفسّروها. بل لعل بعض تقاليدهم كانت ترجع إلى ما بعد السبي مباشرة.

بعد خصامهم مع **البيت الأسموني الحاكم** الذي كان يمثله **يوحنا هركانس** بدأ وضعهم السياسي يهتز، فأصبحوا زعماء حركة المعارضة الشعبية لخليفة **هركانس** وهو **اسكندر جانيوس** (١٠٣- ٧٦ق.م.)، حتى إنه أوصى امرأته (**اسكندرة**) وهو يُحْتَضَرُ –بناء على ما رآه من نفوذهم الشعبي– أن تتحالف مع الفريسيين، فرجعوا إلى **القوانين** التقليدية التي تسلموها من «**الآباء**» –كما كانوا يقولون– وأصبحوا هم القوة التي تقف وراء العرش الملكي، وأصبح في قدرتهم الانتقام للاضطهادات التي عانوها من **اسكندر جانيوس**.

وفي أثناء النزاع على السلطة عقب موت «**اسكندرة**» يبدو أن الفريسيين كانوا الحزب الثالث الذي لم يؤيد ابنًا من ابنيها، بل التمسوا من الرومان إلغاء النظام الملكي اليهودي (الذي ادّعاه الكهنة لأنفسهم بعد الثورة المكابية)، والعودة إلى نظام الحكم الكهنوتي القديم. ولكن لم يتحقق هذا، إذ وضع الرومان نهاية للصراع على السلطة، عندما استولى **بومبي** القائد الروماني على الهيكل ودخل إلى قدس الأقداس، ونفى أحد ابني «**اسكندرة**» وثبَّتَ الثاني (**هركانس الثاني**) على رئاسة الكهنوت والمُلك (**تحت سيادة الرومان**). وهكذا ضاع الاستقلال السياسي الذي كانوا قد حصلوا عليه قبل ذلك بنحو قرن من الزمان، وأصبح اليهود في عام ٦٣ق.م. خاضعين **للحكم الروماني**.

وخير ما يعبر عن (**تقوى**) الفريسيين –قبل المسيحية– هي «مزامير سليمان» التي ترجع إلى الفترة التي أعقبت استيلاء **بومبي** على البلاد، فهي تُعَبِّر بقوة عن غضب الفريسيين ضد **الأشرار** في إسرائيل، الذين جلبت أفعالهم هذه الدينونة الرهيبة من الله (وهم الحكام الأسمونيون الأواخر والصدوقيون الذين أيدوهم)، وضد الأمم الذين تجاوزوا الحدود التي وضعها الله لهم، في تأديب شعبه (مزمور سليمان ٢: ١٦-٢٩).

فالمؤلف المجهول لهذه المزامير رسم صورة واضحة للموقف ("لقد اعتلت الأمم الغريبة مذبحك، وداسوه بنعالهم"– ٢:٢٠) وفرحوا بموت **بومبي**، ذلك الموت العنيف في ٤٨ ق.م. ("لقد أراني الله موت الرجل المتغطرس على جبال مصر" — ٢: ٣٠). فيرسم الفريسيون هنا صورة لأحد مفاهيمهم الأساسية عن المجازاه: فالله يدافع عن (الأبرار) (أي الفريسيين) ويعاقب (**الخطأة**) وما اعتقاد الفريسيين بالقيامة (أع ٢٣: ٦–٩) إلا نتيجة مباشرة لاعتقادهم بمبدأ المجازاة (مز سليمان ٣: ١٦).

ونجد صورة جميلة للرجاء المَسِّيانِيّ عند الفريسيين في الجزء الأخير من المزمور السابع عشر من "مزامير سليمان"، "فالرب سيقيم لهم ملكهم، ابن داود" (١٧: ٢٣) الذي "سيُهلك الأمم الشريرة بكلمة فمه" (٧: ٢٧). كما يقال عنه: "سيكون عليهم ملك بار، متعلم من الله، ولن يكون هناك شر في وسطهم في أيامه، لأن الجميع سيكونون مقدسين، وسيكون ملكهم هو المسيا الرب" (١٧: ٣٥و ٣٦). وبينما كان الفريسيون يتطلعون إلى مملكة أرضية، إلا أنها كانت روحانية أيضًا لا يمكن اكتسابها: "بالاتكال على الفرس والراكب والقوس" (١٧: ٣٧).

ومنذ فتح **بومبي** البلاد، ظل الفريسيون مسالمين سياسيًا، رغم أن بعض الغيورين خرجوا من صفوفهم. أما الفريسيون في مجموعهم فقد حاولوا تجنب إثارة النزاع مع روما. ولكنهم أخيرًا تورطوا مضطرين في الثورة المشؤومة في ٧٠م. وبعد خراب أورشليم، كان الفريسيون هم الذين تولوا جمع حطام العقيدة اليهودية، وإعادة بناء اليهودية كما نعرفها في كتابات **الرّبّيين**، فقد كان الوضع شبيهًا بالوضع عقب السبي البابلي، فلم تعد هناك أمة يهودية، كان المظهر الوحيد لوحدة الشعب هو **الناموس والمجمع والأعمال الصالحة**. ولم يعد الرجاء الأخروي مرتبطًا بالنشاط الثوري، بل بتدخل الله في وقته المُعَيَّن منه. وأصبحت اليهودية منذ ٧٠م نتاج ما كان يعتبر حزبًا واحدًا من بين أحزاب كثيرة، وكان هذا الحزب هو حزب الفريسيين.

ثالثًا– الفريسيون في العهد الجديد: إذا كانت **مزامير سليمان** تعطينا صورة للفريسية في أحسن صورها، فإن العهد الجديد يكشف لنا عنها في **أسوأ صورها**. ففي زمن وجود الرب يسوع على الأرض، كان الفريسيون – على ما يبدو– جماعة من العلمانيين (أي لم يكونوا من الكهنة)، وكان البعض منهم متخصصين في دراسة الأسفار المقدسة، وكان أولئك هم **الكتبة**. وقد وجّه الربّ يسوع إليهم (إلى الفريسيين والكتبة) البعض من توبيخاته الشديدة. فهو لم يقف موقف العداء من تعاليم المجمع، بل قال: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. وكل ما قالوه لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه» (مت ٢٣: ٢و٣). ولكنهم كانوا مرائين، لأنهم لم يعيشوا بمقتضى معاييرهم العالية للبرّ، فقد وضعوا «أحمالًا ثقيلة» على أكتاف الآخرين، أما هم فلم يكونوا على استعداد لحملها (مت ٢٣:٤). واحتكروا الإفتاء الشرعي لحفظ حرف الناموس دون روحه (مت ٢٣: ١٦–٢٢. انظر أيضًا مرقس ٧: ٩–١٣). وكانوا يفتخرون ببرّهم الذّاتي، ولا يعملون الأعمال الحسنة إلّا ليراهم الناس (انظر مت ٢٣: ٦–١٢، ٦: ١ و ١٦–١٨، لو ١٨: ٩–١٤). ووصفهم **يوحنا المعمدان** بأنهم «أولاد الأفاعي» الذين يتكلون على أنهم أبناء إبراهيم (مت ٣: ٧و٨). وقد أيد الرب يسوع هذا الحكم عليهم (مت ٢٣:٣٣)، وأضاف إلى ذلك القول بأنهم «قبور مبيّضة» (مت ٢٣:٢٧)، وأنهم ليسوا أولاد «الأنبياء والأبرار» (مثل إبراهيم) الذين بنوا لهم قبورًا فخمة، بل هم ابناء الذين قتلوا أولئك الأنبياء والأبرار، من «هابيل إلى زكريا» (مت ٢٣: ٢٩–٣٦). فقد كانوا «عميانًا قادة عميان»، يسعون وراء الدخلاء، ولكنهم في الحقيقة كانوا يمنعون الناس من الدخول إلى ملكوت السموات (مت ١٥: ١٤، ٢٣: ١٣–١٥).

هذه الوصمة واضحة بالنسبة لهم، في العهد الجديد، ولكن يجب ألّا ننسى أنه في بعض الحالات بدا بعض الفريسيين على صورة أفضل (انظر هذه الصفات الطيبة (لغمالائيل)، كما قد رآها في بعض الفريسيين مثل: الاعتدال، والعدول عن العقوبات القاسية، وادراك سيادة الله، ومسؤولية الإنسان (أع ٥: ٣٣–٣٩). وقد كان بولس – قبل أن يكون إناءً مُختارًا من الربّ – **فريسيًا**. وواضح أنه كان يعتبرهم مثالًا أعلى «للبر الذي في الناموس» (في ٣: ٤–٦ مع غل١:١٤). كما يجب ألا ننسى أنه كما وبخ الرب يسوع الفريسيين، فإن الفريسيين أنفسهم– في بعض الأحيان– كانوا ينقدون أنفسهم نقدًا شديدًا.

ويذكر التلمود سبع فئات من الفريسيين، كان من بينهم: **فِرِّيسِيُّ الكتِفِ** أي الذي كان يحمل أعماله الصالحة على كتفيه لكي يراها الناس. **والفريسي المِدَقُّ** الذي كان يحني رأسه في تواضع كاذب، مثل **المِدَقِّ** في الهاون، وكذلك الفريسي الذي يحب الله حقًا مثل إبراهيم.

ويمكن تعريف الفريسية، بالقول بأنها كانت تتمسك بالحرف أكثر مما بالروح. لقد (**أقامت سياجًا حول الناموس**) إذ أخذت قوانين شريعة العهد القديم– التي كان الكثير منها مختصًا للكهنة اللاويين– وجعلتها ملزمة لكل يهودي، وذلك بتمسكهم بالتقليد الشفهي وتفسيراته. لقد جعلوا الناموس في متناول كل انسان، وبذلك كانت الفريسية تؤيد (**كهنوت كل المؤمنين**) ولم يكن الناموس حرفًا ميتًا للفريسي الصادق، كما كان يفسره الكتبة، بل كان هو الحياة نفسها.

فلماذا إذًا وَبَخَّ المسيح الفرّيسيّة؟

بسبب رياء البعض من رموزها، الذين كانوا «يقولون ولا يفعلون» (مت ٢٣: ٣). ولأن الفريسية في محاولتها –المخلصة– لتطبيق ناموس الله الأبدي على ظروف الناس المتغيرة، حطمت من قدر مطالب الله المطلقة العادلة (مت ١٥:٣). وبينما وضعوا أحمالًا اضافية على أنفسهم وعلى أتباعهم، فانهم في الواقع جعلوا الطريق إلى البرّ أيسر، إذ جعلوه غاية يمكن بلوغها بمراعاة بعض الفرائض. وباتمام هذه الأعمال، كان الفريسي يظن أنه قد فعل كل المطلوب منه. ولذلك قال الربّ يسوع: «متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون» (لو١٧: ١٠). كما قال للتلاميذ: «فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.» (مت ٥: ٢٠).

عيد رفع الصليب الكريم المحيي

اصلبه! اصلبه! (١)

للقديس يوحنا الذهبي الفم

الإنجيل : (يوحنا ١٩: ٦–٣٥)

«لهذا قد وُلدتُ أنا ولهذا قد أتيتُ إلى العالم لأشهد للحقّ كلّ من هو من الحقّ يسمع صوتي» (يو١٨: ٣٧).

وداعَة يسوع

إنّ طول الأناة لأمرٌ عجيب، يجعل النّفس ترتاح في ميناء هادىء مُحَرِّرًا إيّاها من الأمواج والرياح الشريرة. يعلّمنا إيّاه المسيح في كُلّ مناسبة وخاصّة الآن حين يُحكَم عليه، ويُقَاد من حاكمٍ إلى آخر ويُهزَأ به.

عند **حنّان** أجاب بكلّ وداعة، ولذلك الخادم الذي ضربه أجاب بكلمات لها القدرة على القضَاء على كُلّ تكبّر (يو١٨: ٢٢–٢٣). ومن هناك جاء إلى **قيافا**، ومن **قيافا** إلى **بيلاطس**، وأمضَى طوال الليل معهم وأظهَرَ وداعة كاملة. وعندما اتّهموه أنّه «فاعل شَرّ» (يو١٨: ٣٠) من دون أن يُثبتوا ذلك، بَقِيَ صامتًا (متى ١٨: ٢٦ –٦٣).

وعندما سُئِلَ عن المُلك تكلّم مع **بيلاطس** معلّمًا ورافعًا إيّاه روحانيًّا إلى العلاء (يو١٨: ٣٣–٣٧).

لكن لماذا لم يفحصه **بيلاطس** بحضور اليهود، بل دخل به إلى دار الولاية (يو١٨: ٣٣)؟ لأنّ بيلاطس كان يشكّ باليهود، وكان يريد أن يعرف الحقيقة بدقّة بعيدًا عن ضجّتهم. وبعدما سأل: «ماذا فعلت»؟ لم يُعطِ يسوع جوابًا على ما كان **بيلاطس** يريده، بل تكلّم عن مملكته قائلًا: «مملكتي ليست من هذا العالم» (يو١٨: ٣٦) أي إنّي ملكٌ، لكن لا كما تتخيَّل أنتَ بل أبهَى بكثير، وهكذا يُظهِر أنّه لم يأتِ بأيِّ شَرّ عندما قال: «لهذا قد وُلدتُ أنا ولهذا قد أتيتُ إلى العالم لأشهد للحقّ» (يو١٨: ٣٧). بعد ذلك عندما قال: «كُلّ مَن هو من الحقّ يسمع صوتي»، أراد أن يجذبه إلى الاصغاء إلى كلماته لأنه يقول ما معناه: إن كان أحدٌ مع الحقّ، ويرغب فيه سوف يصغي لكلماتي. والبرهان أنّ يسوع قد أقنعه قليلًا فسأله **بيلاطُس**: «**وما هو الحقّ**» (يو١٨: ٣٨).

وكان يريد أن ينتشله من غضب اليهود لذلك خرج وقال: «أنا لستُ أجد فيه علّة واحدة». وأنْتَبِه بأيّة حكمة قالها. لم يَقُل: لقد أخطأ وهو مستوجب الموت فاعفوا عنه بسبب العيد، لكن بعد أن أبعد عنه أوّلًا كُلّ اتهام يطلب إطلاقه بسبب العيد، لذلك أضاف:

«ولكم عادة أن أطلق لكم واحدًا في الفصح، أتريدون أن أُطلِق لكم ملك اليهود؟ فصرخوا أيضًا جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس» (يو١٨: ٣٩–٤٠).

يا لها من صرخَةٍ خبيثة لأنّهم يطلبون إطلاق المذنبين، بينما يحثّون على عقاب البريء. أمّا أنتَ فلاحظ محبّة الربّ لهم.

«فحينئذٍ أخذ بيلاطس يسوع وجلده» (يو١٩: ١).

ربّما مريدًا أن يُهَدِّىء حماس اليهود، وسمح بعدها للغاية نفسها أن يضفر العسكر إكليلًا من شوك، ويضعوه على رأسه ويُلْبِسُوهُ ثوب أرجوان (يو١٩: ٢). ثم أخرجه خارجًا، محاولًا مرّة أخرى أن يجعلهم يعودون عن اتّهامهم. أمّا العسكر فقد فعلوا ذلك إرضاءً لليهود وبسبب المال. يجري كُلّ ذلك **ويسوع صامتٌ (متى ٢٧: ١٤) (ومرقس ١٥: ٥) (يو١٩: ٩).**

أمَّا أنتَ عندما ترى ملك المسكونة، والملائكة كلّهم يَستهزىء بهم العسكر بأقوالهم وبأعمالهم وهو يصبر صامتًا، حاوِل أن تتشبّه به في حياتك ...

«فلمَّا رآه رؤساء الكهنة والخدَّام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه قال لهم بيلاطس: خُذوه أنتم واصلبوه لأنّي لستُ أجد فيه علّةً» (يو١٩: ٦).

أُنظر كيف أنّ القاضِي بشتَّى الطُّرق يدافع عن نفسه، محاولًا أن يُبعِد عنه كُلّ اتهام. لكنّ ذلك لم يُسكِت صوت الكلاب. العبارة: «خذوه أنتم واصلبوه» تشير إلى صلاحيّة لا تختص باليهود. لقد قاده هؤلاء إلى **بيلاطس** ليأخذ القرار بالموت، وقد حصَل ما يُعاكس ذلك إذ يرونه يتهرّب من القرار.

«أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنّه جعل نفسه ابن الله» (يو١٩: ٧).

عندما قال لهم الحاكم: «خذوه أنتم واحكموا عليه بحسب ناموسكم، قال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتُل أحدًا» (يو١٨: ٣١). بينما الآن يلتجئون إلى الناموس. وانتبه أيضًا إلى سبب الاتهام: «لأنه جعل نفسه ابن الله». هل هذا يستوجب الحُكم ما دام يعمل أعمال الله؟ وماذا يفعل المسيح؟ بينما كانوا يقولون هكذا كان هو يصمت متمّمًا ذلك القول: «لم يفتح فاه. بتواضعه ارتفعت حكومته» (أشعيا ٥٣: ٧-٨) (يو١٩: ٩).

بعدها خاف **بيلاطس** عندما سمع أنّه جعل نفسه ابن الله (يو١٩: ٨) خاف لأنّه ربّما كان القول صحيحًا، ممّا يجعل نفسه مخالفًا للنّاموس. أمّا هؤلاء فَيَعْلَمُونَ الحقيقة عن طريق الأقوال والأفعال، ورغم ذلك لا يرتعدون بل يقتلونه من أجل أمور كان عليهم أن يسجدوا له. لذلك لم يَعُد يسأله: «ماذا فعلت» (يو١٨: ٣٥) بل يضطرب من الخوف ويمتحنه بالسّؤال:

«من أين أنت؟ أمّا يسوع فلم يعطه جوابًا» (يو١٩: ٩).

لأنّ ذاك الذي سمع أنّ لهذا وُلِدتُ وجئتُ إلى العالم، ومملكتي ليست من هذا العالم، كان عليه أن يُقاوم ويحرّرهُ لكنّه خضع لغضب اليهود. أمّا هؤلاء فقد أظهروا اتّهامهم علانيّة: «كُلّ مَن يجعل نفسه مَلِكًا يُقَاوِم قَيصَر» (يو١٩: ١٢) معتبرين هذا الإعلان جريمة عامّة.

كان يجب على الحاكم أن يفحص هذه التّهمة بصورة تفصيليّة: كيف أضحى متسلّطًا يطارد قيصر في ملكه، لكنّه لم يفعل. لذلك لم يجبه يسوع بشيء عالمًا أنّه يطرح أسئلة بدون أيّ هدف.

ومن جهة ثانية كان يسوع يعلَم أنّ أعماله تبرهن عنه، لذلك لم يدافع عن نفسه بالأقوال التي تُظهر أنّه يأتي إلى الآلام بإرادته.

إذًا بعد أن صمت (يو١٩: ٩).

«فقال له بيلاطُس أما تكلّمني. ألَستَ تعلم أنّ لي سلطانًا أن أصلبك وسلطانًا أن أطلقك» (يو١٩: ١٠).

أرأت كيف يُدين نفسه مُسبقًا؟ إن كلّ شيء تحت سلطته، فَلِمَ لا يطلقه ما دامَ لا يوجَد عليه أيّة تهمة رئيسة؟ ثمّ يجيب يسوع:

«لم يكن لك عَلَيَّ سلطانٌ البتّة لو لم تكن قد أُعطيتَ من فوق **﴿لذلك الذي أسلمني إليك له خطيئة أعظم﴾**[1]» (يو١٩: ١٠). من خلال هذا الجواب يُظهر يسوع أنّ **بيلاطس** هو أيضًا مسؤول عن جُرم الخطيئة. (١):**آية غير واردة في إنجيل العيد.**

لقد أنكَرَ الربّ على الحاكم تفكيره وتعاليه بقوله:«لم يكن لك عَلَيَّ سلطانٌ البتّة لو لم تكن قد أُعطيتَ من فوق » لكي يُظهر له أنّ هذه الأمور لا تجري صدفة نتيجة لسلسلة أحداث، بل كُلّ شيء يتمّ بمعرفة الله الخفيّة (سرّيًّا).

ومن جهة ثانية، حتّى لا يعتقد الحاكم في الوقت نفسه أنّه محرّر من كلّ تهمة أضافَ: «لذلك الذي أسلمني إليك له خطيئة أعظم».

في الواقع إن كان كلّ شيء يتمّ فقط بمشيئة الله (مُسيّرًا) عندها لا يكون **بيلاطس** ولا اليهود مذنبين مسؤولين عن الجُرم. لكنّ هذا الأمر غير صحيح لأنّ العبارة «لو لم تَكُن قد أُعطيتَ» تعني «**إنّ الله سمحَ بذلك**» وكأنّه يقول ما معناه: **سمح الله بهذه الأحداث ومع ذلك غير مبرّرين من الشرّ ومن الخطيئة**. بهذا الجواب أدهَشَ يسوع الحاكم وأعطَى دفاعًا واضحًا. لذلك كان يُحاول **بيلاطُس** أن يُطلقه.

«﴿مِن هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ولكنّ اليهود كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقتَ هذا فلستَ محبًّا لقيصر. كلّ مَن يجعل نفسه ملكًا يُقاوم قيصَر﴾» (يو١٩: ١٢).

لم يستفد اليهود كثيرًا من الاتّهامات المتعلّقة بعصيان الناموس، لذلك يلتجئون إلى ما هو خارج النّاموس قائلين: «كُلّ مَن يجعل نفسه مَلِكًا يُقَاوِم قَيْصَر».

ومن أين ظَهَرَ الربّ مَلِكًا متسلطًا؟ أَمِنَ الثوب القرمزي، من إكليل الشوك، مِنَ الهيئة أم مِن العسكر؟ أَلَم يَسِر وحده مع تلاميذه الاثني عشر مستخدمًا كُلّ شيء ببساطة الفقراء: الطعام والثياب والسَّكَن؟

لكن يا له من جُبْنٍ وعدم رجولة! لأنّ **بيلاطس** كان خاشيًا على نفسه، فإنّ إهمال أقوال اليهود سوفَ يُعَرّضه للخطر فخرج ليفحص الأمر، هذا ما يظهر من الآية:

«فلمّا سمع بيلاطس هذا القول أخرجَ يسوع وجلسَ على كُرسيّ الولاية في موضعٍ يُقَال له البلاط وبالعبرانيّة جبّاثا» (يو١٩: ١٣).

لكن بيلاطس سوف يهدّىء من غضب اليهود وهوذا ما يتبيّن من خلال الآية:

«وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة فقال لليهود هوذا ملككم» (يو١٩: ١٤).

فقالو له: «خُذه خُذه، اصلبه» فأضافَ «أأَصلِب مَلككم» فكانوا يصرخون: «ليس لنا ملك إلّا قَيصَر» (يو١٩: ١٥).

لقد جعلوا أنفسهم بإرادتهم في الهلاك. لذلك أسلمهم الله أيضًا. لأنّهم قد ابتعدوا أوّلًا عن عنايته وحراسته. أنكروا ملكوته باتّفاق واحد، لذلك أسلمهم إلى الشدائد من جرّاء قرارهم (بالرّغم من أنّ ما قيل كان بمقدوره أن يوقف غضبهم). لكنّهم كانوا يخافون من إطلاق سراحه، ممّا يجعله يجرّ الجمع وراءه وكلّ شيء بعدها يجري لصالحه.

إنه **حُبّ الرئاسة** لهو رهيب، وقادر أن يقود النّفس إلى الهلاك. لذلك لم يسمعوا. كان **بيلاطس** يريد أن يطلقه بمجرّد الكلام بينما كانوا مصرّين على الصراخ: «اصلبه».

لماذا كانوا يودّون أن يموت بمثل هذه الطّريقة بالصّلب؟ لأنّ الموت على الصليب تحقير شديد له. وكانوا يخشون بعد موته أن

يتذكره القوم بطريقة ما. لذلك دبّروا له ميتة شنيعة محقّرة، غير عارفين أنّ الحقيقة سوف تشعّ من خلال كلّ هذه العقبات. هذا ما يتبيّن من الكلام التالي:

«يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ.» (متى ٢٧: ٦٣).

لذلك كانوا يحيكون كلّ شيء من أجل محو كلّ ما يمكن أن يحدث فيما بعد. لذا كانوا يصرخون باستمرار «اصلبه» أي الجمع الثّائر والمدفوع من الرؤساء.

«فحينئذ أسلمه إليهم ليُصلَب فأخذوا يسوع ومضوا به. فخرج وهو حاملٌ صليبه إلى الموضع الذي يُقال له موضع الجمجمة ويُقال له بالعبرانيّة جلجثة حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع في الوسط» (يو١٩: ١٦-١٧).

... بينما في البداية كان اليهود ينعمون بمعونة الله، كانوا يطالبون بناموس مُلك الأمم، وفي البرّية بعد حصولهم على المنّ تذكّروا.

هنا أيضًا أنكر اليهود مُلكَ المسيح وطالبوا بِمُلْكِ قَيصَر لذلك عيّن الله لهم ملكًا طبقًا لإرادتهم.

عندما سمع **بيلاطس** ذلك أسلم يسوع لكي يُصلَب ... لأنّه بينما كان عليه أن يسأل إن كان المسيح قد حاول أن يَسعى وراء سلطةٍ ظالمة لم يفعل، بل أصدر القرار بدافع الخوف فقط. وقد استدرك المسيح ذلك مُسبقًا عندما قال له: «مملكتي ليست من هذا العالَم» (يو١٨: ٣٦). لكنّ **بيلاطس** سَلّم نفسه كلّيًّا إلى الأمور العالميّة، ولم يَرد أن يفكّر أرفع من ذلك بالرغم من أنّ حُلم امرأته كان كافيًا لكي يزعزع رأيه. (متى٢٧: ١٩).

ولكن لم ينفعه شيء من كلّ ذلك. لم يتطلّع إلى السّماء بل أسلَمه. أمّا الآخرون فقد جعلوه يحمل الصّليب كمحكومٍ عليه، **والخشبة تُعتبر علامة عارٍ** لا يجدر بالواحد أن يقترب منها. هكذا حصل سابقًا في ما كان رمزًا للموت على الصّليب، عندما حمل اسحق الحطب بعدما وصَلَ والده إبراهيم إلى قراره (رمزًا لما سيجري). أمّا الآن فقد أصبح الأمر فعلًا.

وجاء إلى موضع الجمجمة. يقول البعض إنّ آدم هناك دُفِنَ. **حيث ساد الموت** جاء يسوع لكي يضع شارة الظَّفر. خرَجَ ماسكًا **بالصَّليب راية الظَّفر** ضدّ **سلطان الموت**. وكالظّافرين هكذا هو كان يحمل على كتفه **رمز النّصر والظّفر**.

لقد صَلَبَهُ اليهود مع اللّصَّين متمّمين النبوءة بالرغم من إرادتهم، لأنّ ما كانوا يفعلونه وهم يجدّفون، قد تحوّل إلى الحقيقة حتّى تعْلَم كم هي قدرة الحقيقة كما قال النبيّ مستنيرًا من السَّماء: «وقَد حُسِبَ مع الأثمة» (أشعيا ٥٣: ١٢). كان الشيطان يحاول أن يخفي الواقع، لكنّه لم يستطع لأنّهم قد صلبوا الثلاثة لكنّ واحدًا منهم أشرَقَ وهو يسوع حتّى تعلم أنّ قوّته هي التي فعلت كلّ شيء ... ...

تتمّة عظة القديس يوحنا الذهبي الفم في العدد القادم

الثـريـّـا

مجموعة من النجوم واسمها في العبرية « **كيما כימה** » أي مجموعة أو عنقود، أما الاسم في العربية فمشتق من الثراء وسميت كذلك لكثرة نجومها مع ضيق محلها. وتذكر في الكتاب المقدس ثلاث مرات (أيوب ٩: ٩، ٣٨: ٣١، عاموس٥: ٨) . وتذكر في المواضع الثلاث مع «الجبار». وتقع الثريا في طرف برج الثور، وتستطيع العين المجردة رؤية ست أو سبع نجوم منها، وان كان البصر الحاد يستطيع رؤية عدد اكبر منها، ولكن الصور الفلكية الفوتوغرافية تبين احتواءها على آلاف النجوم، وتبدو في هذه الصور مرتبطة معًا يضمّها غلاف سديمي واحد، فتظهر وكأنها حبات عقد متلألئة يجمعها خيط واحد مما يتفق تماما مع القول : «هل تربط أنت عقد الثريا ؟» (أيوب ٣٨ : ٣١) وكَأن الربّ يسال أيوب عما إذا كانت قوة أيوب هي التي تربط كل هذا العدد الهائل من النجوم معًا في مجموعة واحدة.

وتقع الثريا على بعد **ثلاثمائة سنة ضوئية من الشمس**، وهي تُرَى قبل شروق الشمس في الربيع، بينما يُرَى «الجبار» واضحًا في الخريف.

ويربط البعض بين نجومها السبع الواضحة للعين المجردة، وبين رؤيا يوحنا للكواكب السبعة التي في يد الرب، والكواكب السبعة هي ملائكة السبع الكنائس (رؤ١: ١٢ و١٣ و١٦ و٢٠).

وهذه الكواكب السبعة التي تتلألأ في عنقود واحد وكأنها كوكب واحد، تقدم لنا صورة للكنيسة في وحدتها الجوهرية، رغم تنوعها شكلًا وتفرقها مكانًا.

الفصل الثامن – (تتمة)

وكاد لعرفانه بالجميل أن ينسَى موعد ذهابه إلى العمل. ثم حصل له **حادث رهيب، أليم، مُحزن وخطير**. إلَّا أنّه كان في الحقيقة نعمة، فتحت على أثرها أبواب مصيره. إذ عندما وقع نَظَر رئيسه عليه، ووجد انّه فجأة ينتعل حذاءً جديدًا ويلبس الثياب الجديدة والأنيقة، تعجَّب، وانتابه الشَكّ. وقفز نحوه، وامسكَ برقبته وانهال عليه بالضَّربِ والرَّكلِ حتى سالَ دمه، وكاد أن يقتله. ورغم أن أنستاز جثا على رُكبتيه، وَقبَّلَ يَدَي رئيسه صارخًا: ''أنا لستُ بسارقٍ''، لم يكن رئيسه ينفكّ عن سؤاله: "**من أين لكَ هذا؟**" وكان أنستاز يجيب:

– ''إنّه المسيح الذي أرسله لي، صدِّقْني''.

– "**المسيح؟**" **وكان يعاود ضَرْبَهُ وَرَكْلَهُ.**

لحُسن الحظّ أنّ الجار سمع الصراخ ووصل ليحول دون مقتل الصبي. فأخبر بكلّ شيء، ولولا ذلك لَوُضِعَ الصبي في السجون التركيّة بسبب معلّمه القاسي القلب، الذي كان يجمع المال دون توقّف ولا يبتسم أبدًا.

وإذا بصوتِ ولد صغير يحوّل أفكار الأسقف نكتاريوس ويُعِد روحه عن الذكريات: وجدَ أمامه صبيًا ناحلًا أسمر، يكلّمه بلغة أفريقيّة يجهلها تمامًا. كان الصبي يلبس ثيابًا ممزّقه ويداه ترتجفان من البرد. من أين أتى؟ وكيف هرب من والديه؟ كانت عينا الولد تحدّقان فيه وتجذبانه كالمغناطيس. وقال بصوت خفيض مبحوح: ''غوبي...''.

فتمتم نكتاريوس:

– '' يا عصفوري الصغير!''

ثمّ نهض وفتّش في جيبه ليجد حبّة من السكاكر، فأعطاها للولد الذي رفع نظره المليء، بعرفان الجميل. وفي تلك اللحظة مرّ شاب من العاملين على متن السفينة، فقال له:

– ''هذا الصبي من تنزانيا يا ابتِ، لقد قُتِلَ أبواه هناك واختفَى اخوته الخمسة. ثم وُجِدَ وحده في الاسكندرية، فأخذته سيدة انكليزية عجوز تحت رعايتها''.

وعاد نكتاريوس إلى الحاضر. فانحنى وأخذ الولد بين ذراعيه. فصاحَ الشاب:

– ''سوف تتسخ ثيابك بسببهِ يا ابتِ! فهو ينتقل في كل الانحاء كالهرّ الصغير. وقد وجدناه منذ نصف ساعة في غرفة المحركات''.

فقال نكتاريوس: ''لا بأس، لا توبّخه''.

واستمر واقفًا يداعب الولد، وكان يتنهّد بين الحين والآخر ويقول:

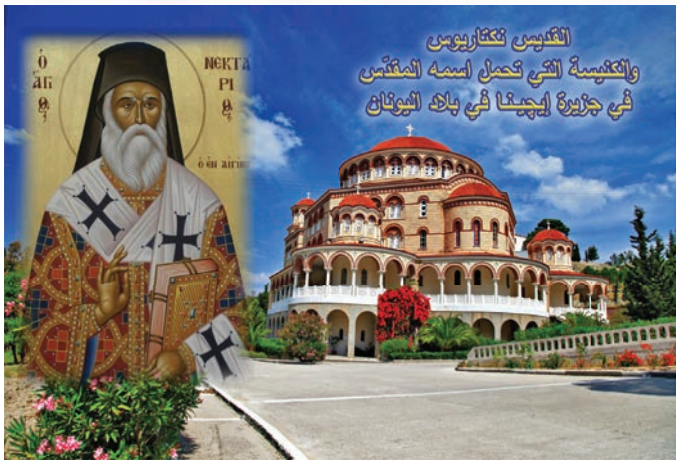

– ''الأولاد! الأولاد! الصغار، التعساء! بلَى، هناك دائمًا أسوأ''.

وكانت السفينة تتابع إبحارها الهادىء. فتقدَّم الشاب وأخذ الولد بين ذراعيه وقال:

– ''تعال معي يا غوبي إلى أسفَل''.

فحاول الولد المقاومة بينما كان الشاب ينزله الادراج رغمًا عنه. وقبلَ أن يعود نكتاريوس إلى الاستلقاء، ألقَى نظرة على البحر. ''يا لَلرَّوعَةِ! لكن كم من الأحزان مخيفة في البحر! كم من مرّة في حياتي ... آه يا إلهي، إننا نجد دائمًا مَن هو أتعس منا!''.

وجَرَّ نفسه نحو كرسيه الطويل، وعاد فكره من جديد إلى طفولته. بالطبع لو لم يُرسل له الربّ ذلك الرجل الصالح، فما كان سيحلّ به؟ اذن سيموت بسبب الضرب. وهذا الولد التنزاني الذي مات أبواه واختفى اخوته ... أية جُلجُلة هي الحياة! ليس عليه إذن أن يقلق ويرتعد كلما فَكَّرَ بالمستقبل، وألَّا يخاف. رسمَ على وجهه إشارة الصليب وتنفّس عميقًا: في الوقت المناسب أرسل الله الكلّيُّ القدرة الرجُل المناسب ليمنح حياته اتجاهًا جديدًا. ومن جديد عادت إلى ذهنه الذكريات.

كَتَبَ البُحتري إلى أحد أصحابه وكان مُعْتَقَلًا في السجن هذه الأبيات، ذاكِرًا يوسف بن يعقوب وفضيلته وما آل إليه صَبْره، وطول أناته.

وَمَا هٰذِهِ ٱلْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلٌ
فَمِنْ مَنْزِلٍ رَحْبٍ ومِنْ مَنْزِلٍ ضَنْكِ
وَقَدْ هَذَّبَتْكَ ٱلنَّائِبَاتُ وَإِنَّمَا
صَفَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ قَبْلَكَ بِٱلسَّبْكِ
أَما فِي نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ
لِمِثْلِكَ مَحْبُوسًا عَلَى ٱلظُّلْمِ وَٱلْإِفْكِ
أَقَامَ جَمِيلُ ٱلصَّبْرِ فِي ٱلسِّجْنِ بُرْهَةً
فَآلَ بِهِ ٱلصَّبْرُ ٱلْجَمِيلُ إِلَى ٱلْمُلْكِ

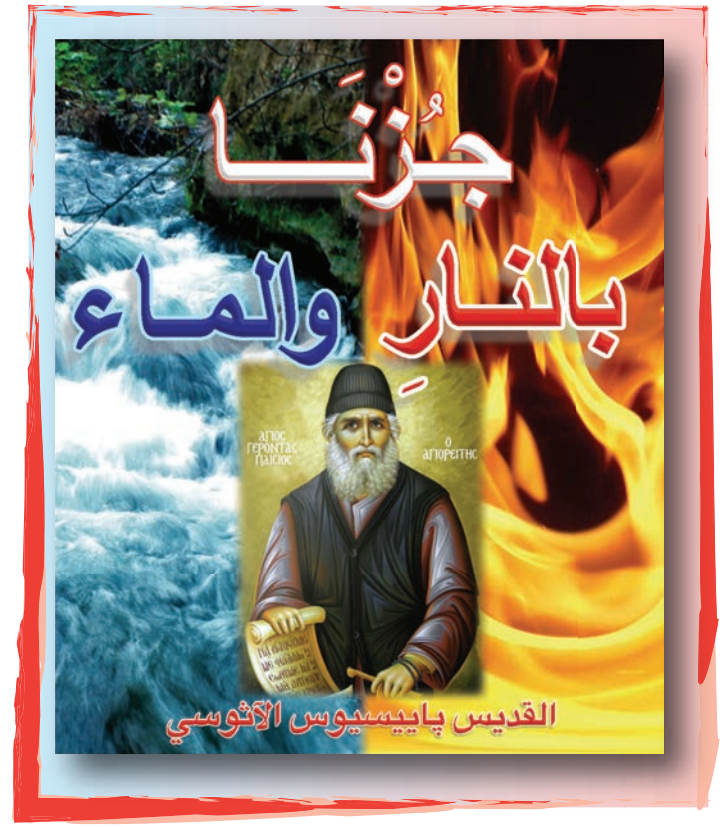

✝ جحود الانسان لمحبّة الله ✝

✝ يارووندا، هل التجاربُ مفيدةٌ دائمًا للناس ؟

✝ هذا يتوقّف على كيفيةِ مواجهة كلّ شخصٍ لهذه التجارب. فالذين لا يتمتعون بنيَّةٍ حسنةٍ يلعَنون الله عندما يتعرّضون للمِحَنِ والمصَاعِبِ، ويقولون: «**لماذا حدَثَ هذا لي؟**» انظرُوا، ذلك الانسان يتمتَّعُ بالعديدِ من البرَكاتِ! أيُّ نوعٍ من الآلهة هوَ هذا؟. لكنّهم لا يقولون، «**لقد أخطأتُ**»، وَعِوَضًا عن ذلك، يَخضعون لتجارب عديدةٍ. أمَّا الناس الذين يتّصفون بالنُّبلِ والتفاني فيقولون: «المجدُ لكَ يا الله! لقد **قَرَّبْتَنِي** هذه التجربة منك، لأنَّكَ سَمحتَ بها من أجل مَنفعَتي». قد لا يكونُ هؤلاء الناس من مُرتادي الكنيسة أبدًا، لكنّهم يُباشرون بارتيادها بشكلٍ مُنتَظِمٍ، ويَذهبون للاعترافِ ويتناولون جسَد ودم الربِّ الكريمَيْنِ. قد يبلغ الأُشخاصُ القساةُ القلوبِ، الذين يختَبرون بعضَ التجارِبِ، درجةً من التفاني، بحيثُ تنقلب حياتهم رأسًا على عقب ويُحاولون التعويضَ، بواسطة الألم الذي يَشعرون به، عن كُلِّ ما فعلوه.

✝ يارووندا، هل يجب أن نقول، «المجد لك يا الله!» عندما تسير أمورنا على خيرِ ما يُرام ؟

✝ إذا لم نَقُل «المجد لك يا الله» في أوقات الفرح، فكيف سَنقدر أن نقولها في أوقاتِ الحُزن؟ هل تَقولينها في زمنِ الحزن، ولا تودِّين قولَها في زمن السرور؟ بالطبع، عندما يكونُ أحدهُم ناكرًا للجميلِ، لنْ يُمَيِّز محبّة الله. الجحودُ ونكرانُ الجميل خطيئةٌ مميتةٌ، وبالنسبة لي هي خطيئةٌ مميتةٌ. الانسان الناكرُ للجميلِ لا يَسرُّه أيُّ شيء، فهو دائمُ التذمُّرِ والتأفُّفِ، ولا يرى إلَّا الأخطاءَ في كُلِّ شيء وفي كُلِّ إنسان.

في **مَوطني، فاراسا**، كان عصير العنب شرابًا مشهورًا جدًّا. في إحدَى الأمسيات بدأت فتاةٌ صغيرةٌ بالبكاء **وطلبت هذا العصير**. ماذا فعلت الأم؟ ذهبَت وأحضرت القليل منه من عند الجيران. وحالما تناولت الفتاة الشرابَ، عادت للبكاء ثانيةً، وأخذَت تضربُ برِجلها في نوبةِ غضبٍ صارخةً:«**أمّي أريدُ أيضًا بعض اللَّبَنِ**». فأجابت الأم: «يا ابنتي، أين سأجدُ اللبنَ في هذا الوقت المتأخّر؟» لكنها ذهبت ثانية إلى الجيران، ووجدت قليلًا من اللبنِ ثمّ وأَحضرته لابنتها. **شربت الفتاةُ اللبن ثمَّ عادت للبكاءِ**. «لماذا تبكين الآن؟». سألت الأم. «أمّي، **أريد عصيرَ العنبِ واللبن معًا**». فأخذتِ الوالدة العصير واللبن ومزجتهما، لكن الفتاة بقيت تبكي. «أمّي، **لا يمكنني أن أشربهما، أريد فصلهما ثانيةً!**». عندئذٍ وَجَّهَت الأُم بضعَ صَفعاتٍ لابنتها الناكرة الجميل. وهكذا انفصل اللبن عن العصير!

ما أريد قوله هو أنّ بعضَ الناس يتصرَّفون مثلَ هذه الفتاةِ، ولهذا يحينُ دورُ العمل التأديبي لله. على الأقلّ، دَعونا نعترف بنكراننا للجميلِ، ولنشكر الله نهارًا وليلًا على البَرَكاتِ التي أغدَقها علينا. بهذه الطريقةِ، سنُجبرُ الشريرَ على الهروبِ. فيَجمعُ شياطينَه ويَختَفي كالدّخانِ الأسودِ، لأنَّنا اكتشفنْا نقطةَ العطبِ عِندَه.

✝ فلنقارن تجاربنا مع الضيقات الثقيلة لغيرنا ✝

أفضَلُ دواءٍ لكلِّ تجاربنا وَمِحَننا هو أن نُقَارن تجارب إخوتنا البشَر الثقيلة، مع ضيقاتنا الشخصيّةِ، ونميِّزَ الفرق الكبير بينهَا، ومحبّة الله التي أظهرها لنا في سماحِهِ لتعرُّضنا لتجربةٍ صغيرةٍ فقط. عندها سنشكر الربّ، وسنشعر بألمِ غيرنا، وسنُصَلِّي من أعماق قلبِنَا إلى الله لكي يَمُدَّ له يدَ العونِ. على سبيل المثال، لو فقدتُ إحدى رِجلَيّ؟ يَجبُ أن أُصَلّي، «المجد لك يا الله! ما زلتُ أملكُ رِجلًا أخرى، أمَّا غيري فقَدْ **فَقَدَ** كِلتا رِجليه». وحتّى لو صرتُ انسانًا مجدوعًا بلا ذراعيْن ورِجلَيْن، فيجب أن أقول: «المجد لك يا الله! لقد تَسَنَّى لي أن أمشي واستخدم ذِراعيّ لسنواتٍ عديدةٍ، بينما وُلِدَ غيري مشلولًا».

منذُ اللحظة التي سمعتُ فيها بربِّ عائلةٍ يُعاني من النزيف منذ أحدَ عشرَ عامًا، قلتُ، «ماذا أفعلُ أنا؟ هو رَجُل علمانيّ، رَبُّ أُسرةٍ، ولديه أولاد، وعليه أن ينهضَ كُل صباحٍ ويذهب للعمل. وهو يعاني من هذا النزيف لمدة إحدَى عشرَ سنة، بينما لم أُكَمِّل سبع سنواتٍ وأنا أُعاني من هذا المرض! **(عانى القديس الشيخ پايسيوس نزفًا معويًا دائمًا منذ عام ١٩٨٨م) ﴿ولد القديس باييسيوس (أرسانيوس إزنيبيذي) في فارسا، كبادوكيا في ٢٥ تموز عام ١٩٢٤، وفي ١٢ تموز ١٩٩٤ رقد ودفن في دير القدّيس يوحنا اللاهوتي في سوروتي﴾**. لو فكّرتُ بالإنسان الآخر الذي يُعاني أكثر، فلن أَجِدَ عندها أي عذرٍ لأُبرّر نفسي. لكن، اذا اعتقدتُ أنّي أنا الوحيد الذي أُعاني وغيري على ما يُرام، إذ يجب أن أنهض كل نصف ساعةٍ في نصف الليل بسبب مشاكل في أمعائي، ولا استطيع النوم بينما يرقد غيري بسلامٍ وهدوء، فأنا

عندها أجد عُذرًا لي حتّى أتذمّر. أنتِ، أيّتُها الأُختُ، منذُ متى تعانين من الحصباء؟

– منذ ثمانية شهور

– هل فهمتِ؟ يسمح الله بأن يُصابَ البعضُ بالمرض لشهرين، وغيرهم لعشرة شهور، وآخرين لخمسة عشر شهرًا، أعرف أنّ الألم حادٌّ، وقد يصلُ بعضُ الناسِ لدرجة اليأس بسببهِ. الإنسان العلماني الذي يُعاني من الحصباء لمدّة شهرٍ أو شهرين، ويأس بسبب الألم سوفَ يتشجّع ويتعزّى عندما يسمع بصبر انسان روحانيّ، يعاني من المرضِ لسنةٍ كاملةٍ دون أن يتذمّر. وسوف يقولُ لنفسه، «لقد مرضتُ منذُ شهرين بهذا المرض واصبحتُ يائِسًا، بينما أَخِي التعيس يُعاني منه سنةً كاملةً ولا يَتفوّهُ ببنتِ شَفَة! أَنا علمانيّ وهو إنسانٌ روحانيّ!». وهكذا يَستفيدُ ويَنتفعُ بدون نصيحة!

✝ الأحزان التي يسبِّبها الناس ✝

✝ يارونداً، عندما يتحمّلُ بصَبرٍ شخصٌ ما ، الأحزان والظُّلم من الآخرين، فهل يُطهّره ذلك الاحتمال والصبّر من أهوائه ؟

✝ بالتأكيد ! إنّه يَجعله مُشرقًا! وهل من شيءٍ أسمَى من ذلك؟ فهو بذلك يدفع ديون خطاياه. يتعرَّضُ أحدُ المجرمين للضربِ، ويُغلق عليه في السجنِ، حيثُ يقضي فترة عقوبته. إذا تابَ هذا المجرمُ بصدقٍ. فسوفَ ينجو من السجن الأبديّ. وهَل إيفاءُ دَيْنٍ أبدي بواسطة هذه التجربة أمرٌ بسيط؟

تحمَّلي كلّ الأحزان بفرحٍ. فالأحزانُ الَّتي يُسّببها الآخرون أكثرُ حلاوةً من كلِّ العصائر الّتي يقدّمها لنا الذين يحبّوننا. انتبهي، المسيحُ لا يقولُ في التطويباتِ، «طوبى لكم إذا مدحكم الناس ...»، بل: «طُوبى لكم إذا عيَّروكم واضطهدوكم وقالوا عليكم كُلَّ كلمةِ سوءٍ من أجلي كاذبين» (متى ٥: ١١)، وخاصة «**كاذبين**». عندما يتعرَّضُ الانسانُ للشتائم بلا مبرّرٍ، فيمكنه أن يُجمِّعَ صبره واحتماله. أمَّا إذا أَعطَى الآخرين سببًا ليشتموه، فهو سيَفِي دُيونَه بتلك الطريقة. إذًا، علينا أن نتحمَّلَ بدون تذمّرٍ الأحزانَ التي يُسبِّبها لنا غيرُنا، وفوق هذا علينا أن نشعرَ بالامتنانِ، لأنّهم منحونا الفرصة لنُجاهِدَ بمحبَّةٍ، تواضعٍ وصبرٍ.

يتعاون الشخصُ الذي يَفتري على غيره مع الشياطين. لكن الريح القويّة تَكسرُ الأشجار الضعيفة وتقتلعها من جذورها، لأنّها ليسَت متجذّرة بقوّة في الأرض، أمَّا الأشجار ذات الجذور العميقة فتستفيد من الريح لأنّ جذورها تزداد عُمقًا بسببها.

علينا أن نُصلّي من أجل الذين يشتموننا ويَفترون علينا، طالبين من الله أن يهبهم التوبة، الاستنارة والصّحة، وألّا يَظهر فينا أقلُّ أثرٍ للكراهيةِ، يجبُ أن نحتفظَ فقط بالخبرةِ النابعة من التجربة، ونرمي وراءنا كلّ المرارة، متذكّرين نصيحةَ **القديس أفرام السّوري (السرياني)**:

«إذا افتُرِيَ عليكَ، واستبانَت نقاوةُ ضميركَ فيما بعد، فلا تتكبَّر، بل اخدم الربّ بتواضعٍ، لأنّه أعتقَكَ من افتراء البَشَر، حتَّى لا تسقُط كالجثّة الهامدة».

تداوس الرسول

أحد الأثني عشر رسولًا (مت ١٠ : ٣، ومرقس ٣ : ١٨)، ويذكر في إنجيل متى بأنه « لبَّأُوس الملقب تداوس » (مت ١٠ : ٣)، ولكنه لا يذكر في إنجيل لوقا (٦ : ١٤ - ١٦) ولا في سفر أعمال الرسل (١ : ١٣)، ويذكر عوضًا عنه «يهوذا أخو يعقوب». ويبدو أن لوقا (في إنجيله وفي سفر الأعمال) يذكره باسمه الحقيقي وليس بلقبه. «**وتداوس**» قد تعني في الأرامية « حلمة الثدي »، أما « **لبَّأُوس** » فمعناه «اللبّ أي القلب» ولعلهما كانا لقبين ليهوذا تمييزا له عن **يهوذا الاسخريوطي** وما ارتبط باسم الأخير من خيانة. والأرجح أن «يهوذا ليس الاسخريوطي» (يو١٤:٢٢) هو نفسه هذا التلميذ. وتذكر أسطورة « **أبجر» ملك الرها (إدسا)** انه بعد **قيامة المسيح**، أرسل توما الرسول تداوس أحد السبعين إلى أبجر . ويعتقد القديس جيروم أن «**تداوس**» الذي تتحدث عنه الأسطورة هو **يهوذا « لبَّأُوس الملقب تداوس »**.

كُن أُمًّا للمسيح

للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

طوبى لأولئك الذين قبلوا مجيء **المسيح كنور** في **الظلمة**، لأنهم يصيرون أبناء نور وأبناء نهار.

طوبى لأولئك الذين لبسوا **نور المسيح** من الآن، لأنهم بالفعل قد لبسوا ثياب العرس. لذا لن توثق أيديهم وأرجلهم، ولن يطرحوا في النار الأبدية.

طوبى لأولئك الذين رأوا المسيح أثناء تجسده، أما أولئك الذين رأوه رؤى العقل بشكل روحاني، وسجدوا له فلهم تطويبٌ مثلثٌ، لأنهم لن يروا الموت إلى الأبد. ولا تشكّ في هذا الأمر لكونه يحدث على الأرض، لأن المُدانين الذين يُسْمَحُ لهم برؤية الإمبراطور الأرضي، يتم تحريرهم فورًا من حُكم الموت.

طوبى لأولئك الذين يتغذون يوميًا على المسيح – بمثل تلك المعرفة والتأمل التي لإشعيا النبي عندما تغذى بالجمرة المتقدة – لأنهم يتطهّرون من كل إثم النفس والجسد.

طوبى لأولئك الذين يتذوقون كل ساعة النور فائق الوصف بفم العقل، لأنهم يسلكون بلياقة كما في النهار (رو١٣:١٣) ويمضون كل أوقاتهم في تهليل وفرح.

طوبى لأولئك الذين ميَّزوا بالفعل هنا على الأرض نور الرب كما هو، إذ أنهم لن يخجلوا عندما يظهرون أمامه في الدهر الآتي.

طوبى لأولئك الذين يعيشون دائمًا في **نور المسيح**، لأنهم شركاؤه في الميراث، وأخوته من الآن وإلى الأبد.

طوبى لأولئك الذين أشعلوا النور في قلوبهم من الآن، وحفظوه غير منطفئ، لأنه عند مغادرتهم هذه الحياة سوف يتألقون عند مقابلة العريس، وسوف يذهبون معه إلى غرفة العرس حاملين مصابيحهم.

طوبى لأولئك الذين لم يتفكروا في قلوبهم قائلين إن الإنسان في هذه الحياة، ليس لديه أي ضمان للخلاص – وينالوه عند رحيله من العالم أو بعد ذلك – لكنهم جاهدوا لكي ينالوه الآن.

طوبى لأولئك الذين لم يترددوا في أي شيء قلته هنا، أو شَكُّوا في عدم صحته، لأنهم حتى لو لم يختبروا أي شيء من هذه الأمور – الأمر الذي أصلي ألَّا يكون هو الحال – إلَّا أنهم على الأقل يجاهدون لكي يختبروه.

طوبى لأولئك الذين يسعَوْنَ بكل قلوبهم للمجيء للنور، محتقرين كل الأشياء الأخرى، إذ بالرغم من أنهم وهم ما زالوا في الجسد قد لا ينجحون في القدوم إلى النور، إلَّا أنهم سوف يغادرون الحياة برجاء ثابت، وسوف يدخلون في النور.

طوبى لأولئك الذين يبكون دائمًا بمرارة على ذنوبهم، لأن النور سوف يستولي عليهم ويُبدِّل المرارة حلاوةً.

طوبى لأولئك الذين يشعّون بالنور الإلهي، فيروا عجزهم الشخصي ويدركوا مقدار التشوّه الناتج في رداء نفوسهم، إذ أنهم سيبكون حتمًا، ومن ثم يغتسلون ويتنقون من خلال قنوات دموعهم المنسكبة.

طوبى لأولئك الذين اقتربوا من النور الإلهي ودخلوا فيه، وصاروا نورًا كاملًا وامتزجوا به، لأنهم قد خلعوا تمامًا ثيابهم المتسخة، ولن يبكوا بكاءً مُرًا بعد.

طوبى للذين يرون ملابسهم الخاصة وهي مشرقة كثوب المسيح، لأنهم سيمتلئون كل ساعة بفرح لا يوصف، وسوف يبكون بدموع لها حلاوة مذهلة، مدركين أنهم قد صاروا بالفعل أبناء وشركاء مع الربّ في القيامة.

طوبى لذاك الذي عين عقله مفتوحة على الدوام، ويرى النور في الصلاة، ويتحاور معه فمًا لفم، إذ أنه يتساوى في الكرامة مع الملائكة، بل أتجاسر وأقول، أنه يصير أرفع من الملائكة، لأن الملائكة تنشد التسابيح أما هو فيتشفع. وإن كان قد صار على هذه الحال، بينما لا يزال يعيش في الجسد مُعَاقًا بفساده، فماذا تكون حاله بعد القيامة عند حصوله على ذاك الجسد الروحاني غير الفاسد؟ بالتأكيد ، لن يكون مساويًا للملائكة فقط بل مشابهًا لسيِّد الملائكة حقًا، كما هو مكتوب: «ولكن نعلم إنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو٣: ٢).

طوبى لذلك الإنسان المتواجد أمام الله في الصلاة، الذي يراه ويُرَى من قِبَلِهِ، الذي يرى نفسه كما لو أنه قد ذهب إلى ما وراء العالم، متواجدًا في حضرة الله فقط، غير مميزٍ إذا كان في الجسد أم خارج

الجسد، لأنه سوف يسمع كلمات لا يُنْطَقُ بها (٢كو١٢)، وسوف يرى «ما لم تره عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان» (١كو ٩:٢).

طوبى لمن رأى نور العالم وهو يتشكل في داخل نفسه، إذ أنه وهو يقتني **المسيح** كجنين في داخله سوف يُعتبر **أُمًّا للمسيح**، كما وعد الرب ذاته – الذي لا يكذب – قائلًا: ها هم أمي وأخوتي وأصدقائي، من هم يارب؟ «هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها» (لو٨). إذًا أولئك الذين لا يحفظون وصاياه، يحرمون أنفسهم طواعية من نعمة كبيرة للغاية، نعمة كانت ومازالت وسوف تكون ممكنة، نعمة حدثت وتحدث وسوف تحدث لجميع الذين يتممون شرائعه.

ولكي لا نتوقف هنا بدون أي شاهد، لئلا يظن أحد أننا نتكلم من أنفسنا، ونقدم تعليمًا بأن ما هو مستحيل ممكنٌ، دعونا نقدم مرّة أخرى بولس المبارك فم المسيح، فهو يشرح هذه النقطة بشكل واضح عندما يقول: « يا أولادي الذين اتمخض بكم ايضًا إلى ان يتصور المسيح فيكم» (غلا ٤).

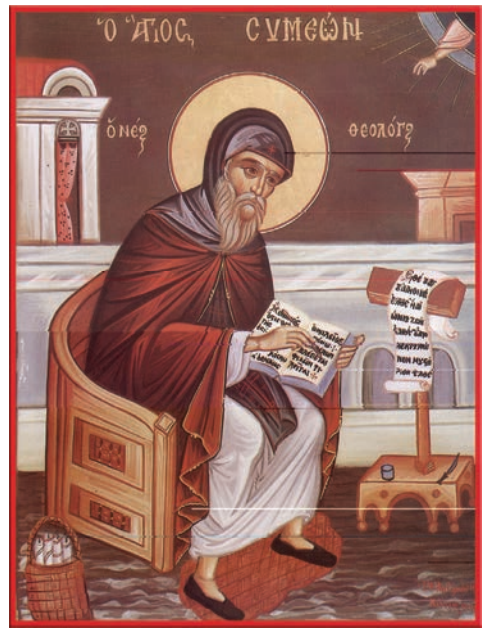

والآن، أين أو في أي مكان أو جزء من الجسم يتشكل المسيح؟ هل تظنوا مثلًا أنه يتشكل على الحاجب أو في الوجه أو في الصدر؟! بالتأكيد لا، بل هو يتشكل في الباطن، في قلوبنا. ربما أفترض أحد أنه يتخذ شكلًا بصورة جسدانية؟ بالطبع لا فهذا بعيد كل البعد. أنه بالأحرى يتشكل بالفعل لكن بصورة غير جسدانية كما يليق بالله.

علاوة على ذلك، تمامًا كما تعرف المرأة الحامل دون أدنى شك بأن الجنين يقفز في رحمها، ولا يمكن أبدًا أن تكون جاهلة بتحقيق وجوده في داخلها، كذلك يكون الأمر مع الشخص الذي يتشكل المسيح في داخله، فهو يكون مدركًا وواعيًا لحركته – أي إضاءاته – ولا يكون جاهلًا بأي حال لقفزاته – أي ومضاته – ومن ثم يرى تكوينه في باطنه.

إن حضور المسيح ليس – على سبيل المثال – مثل انعكاس ضوء مصباح في مرآة، فهو ليس ظهور بدون جوهر كالانعكاس، لكنه يظهر في نور شخصي وجوهري، في شكل بلا شكل، وهيئة بلا هيئة.

العهد القديم في الكتاب المقدس (٩٢)

أستير ملكة فارس:

قصة أستير تقع في زمن عزرا ونحميا وأثناء ملوك فارس، وأغلب الظنّ أنها حدثت في حُكم أحشويرش (زركسيس الأوّل Xerxes I) وتنتمي إلى الفترة بين إعادة بناء الهيكل، وعودة عزرا (أستير ١ ، عزرا ١:٧)، وقد أنْقَذَتْ أستير شعبها من الإبادة، ولذلك أحتُفِلَ بعيد البوريم، ويُبيّن سفر أستير حجم اليهود الذين كانوا ينتشرون في أنحاء الامبراطوريّة، وَتُعَدُّ أستير من العظماء في التاريخ اليهودي ولها مكانة عظيمة في نفوسهم حتى اليوم.

أستير ملكة فارس

توقّف في التاريخ المقدّس:

بإصلاحات عزرا ونحميا تلك التي حدثت في النصف الثاني للقرن الخامس ق.م. ينتهي السَّرد التاريخي للعهد القديم، ويصمت صوت النبوءة بعد أن يسكن الشعب اليهودي في الأرض المقدّسة كجزء من امبراطوريات متعاقبة، لكنه ظَلّ يتمسّك باصلاحات عزرا ونحميا، وهو يجترّ تاريخه القديم المجيد، ويجمع شَمل تُراثه المُبَعثر ويتدارس شريعته المفقودة، وهو يتجمّع في أعياده واحتفالاته وعبادته حول ذلك الهيكل الذي بناه زربابل، وصار مركزًا يجذب إليه اليهود من كُل جهة، وهم يتطلّعون إلى يد الله الممدودة ليعقوب (هوشع ١١:٤) وينظرون إلى مستقبل يُشرق لهم بمجدٍ جديد حتّى تفتّحت زهرة الصبح وجاء **المسيح ابن داود**.

إلى الله هذا الدُّعاء من أحد نُسَّاك الصَّحراء.

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ عَمَلَ اَلْخَائِفِينَ وَخَوْفَ اَلْعَامِلِينَ حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرْكِ اَلنَّعِيمِ. طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ وَخوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتَ. اَللَّهُمَّ أَعِذْنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ وَأَجِرْنِي مِنْ نَقَمَاتِكَ. سَبَقَتْ لِي ذُنُوبٌ وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ إِلَيْكَ بَلْ أَتَوَسَّلُ وَأَفِرُّ مِنْكَ إِلَيْكَ.

حروب العهد القديم

العلامة أوريجانوس

عندما يقرأ ذاك الإسرائيلي الذي بحسب الجسد هذه الأسفار (التاريخية) ذاتها قبل مجيء ربنا يسوع المسيح، لا يفهم منها شيئًا إلَّا الحروب وسفك الدماء، ومن جراء ذلك كانت أرواحهم أيضًا تُستحّث نحو الوحشيّة المفرطة، وتتغذى دائما بالحروب والصراعات. ولكن بعدما سكب حضور ربي يسوع المسيح نور المعرفة السَّلامية في قلوب البشر – إذ أنه هو ذاته «سلامنا» (أف ٢:١٤) بحسب قول الرسول – يعلمنا الرب السلام من هذه القراءة ذاتها التي للحروب، لأن السلام يرجع إلى النفس، إذا تم طرد أعدائها – **الخطايا والرذائل** – منها.

هكذا وبالتالي، وفقًا لتعاليم ربنا يسوع المسيح، عندما نقرأ بالفعل هذه الأمور، فإننا أيضًا نُجهز أنفسنا ونستيقظ للمعركة، لكن معركتنا ضد الأعداء «التي تخرج من القلب»، «لأن من القلب تخرج أفكار شريرة، قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور تجديف» (مت ١٥)، وضد الخصوم الآخرين المماثلة المحاربة لنفوسنا. وباتباع ما تعرضه علينا هذه الأسفار (التاريخية)، نحاول إن أمكن ألَّا نترك وراءنا شيئًا بحيث لا يبقى شاردًا ولا نسمة (يش١٠: ٤٠). لأنَّنا إذا ربحنا التسلط على هؤلاء الأعداء، سوف نتسلط أيضًا وبجدارة على «سلاطين الهواء» (أف ٢:٢)، **ونطردهم من ممتلكاتهم، إذ أنهم كانوا قد تجمعوا في داخلنا على عروش من الرذائل.**

إن لم تكن هذه الحروب المادية، تحمل صورة ورمز الحروب الروحانية، فلا أظن أن أسفار التاريخ اليهودي كانت ستسلم قط لتلاميذ المسيح بواسطة الرسل – الذين جاؤوا لكي يعلموا السلام – بحيث يمكن قراءتها في الكنائس. لأنه ما الفائدة من هذا الوصف للحروب بالنسبة لأولئك الذين يقول لهم يسوع: «سلامًا أترك لكم. سلامي أعطيكم» (يو ١٤)، وللذين أوصوا بواسطة الرسول وقيل لهم: «لا تنتقموا لأنفسكم» (رو١٢)، وأيضًا: «لماذا لا تظلمون بالحري؟ لماذا لا تسلبون بالحري؟» (١كو٦).

باختصار، فالرسول بولس وهو عالم أنه ليس علينا الآن أن نشن حروبًا مادية، بل يجب أن تُبذل حروب النفس ضد الخصوم الروحانية، يعطي الأوامر كقائد عسكري لجنود المسيح، قائلًا: «البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس» (أف٦). ومن أجل أن يكون لدينا أمثلة لهذه الحروب الروحانية من الأعمال القديمة، أراد الرسول أن تتلى علينا تلك القصص البطولية في الكنائس، بحيث إن كنا أشخاصًا روحانيين – نقرأ أن «الناموس روحي» (رو ٧:١٤) – يمكننا مقارنة الروحانيات بالروحانيات (١كو١٣:٢) في الأمور التي نسمعها. ويمكننا بذلك أن ننتبه – عن طريق تلك الشعوب التي حاربت بشكل ظاهر ضد **إسرائيل المادية** – لمقدار شدّة أسراب القوات المعادية من بين الأجناس الروحانية التي تدعى «أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف ٦)، والتي تثير الحروب على **كنيسة الرب**، التي هي **إسرائيل الحقيقية**.

رئيس الملائكة جبرائيل:

اسم عبري معناه «رجل الله»، ويرى البعض انه يعني « الله عظيم أو جبار». وهو اسم الملاك الذي أرسله الله إلى دانيال ليفسّر له الرؤيا التي رأى فيها الكبش والتيس (دانيال ٨:١٦)، وليبلِّغه النبوءة المختصة بالسبعين أسبوعا التي قضيت على شعب دانيال ومدينته المقدسة (دانيال ٩:٢١ - ٢٧).

وهو أيضًا ملاك البشارة في العهد الجديد، فهو الذي بَشَّر زكريا الكاهن بمولد ابنه يوحنا المعمدان (لو ١:١٩)، كما أرسله الله ليبشِّر العذراء مريم بمولد يسوع (لو١:٢٦).

ورغم اعتباره أحد رؤساء الملائكة، فان هذا اللقب لا يُذكر مُطْلقًا في الأسرة المقدسة، ولكن يرد ذكره في سفر اخنوخ الابوكريفي (٩، ٢٠، ٤٠) باعتباره واحدًا من أربعة رؤساء الملائكة (أهم الستة)، ويوصف بأنه «المتسلط على كل القوات» وانه يرفع مع غيره من رؤساء الملائكة صرخات نفوس الموتى طلبًا للانتقام، كما يذكر انه «متسلط على الحيات وعلى الفردوس وعلى الكروبيم» كما انه يشغل مكانًا بارزًا في الترجوم اليهودي.

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(٥١)

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وَجَلَسَ عن يمين الآب

يتكلّم القديس مرقس عن الصعود في عبارة واحدة فيقول: «إنَّ يسوع أُصعِدَ إلى السماء وجلس عن يمين الله». إنَّ العبارة: «جلَسَ عن يمين الله» يجب ألّا تُفهم حرفيًّا، فالله ليس له يد «يُمنَى» ويد «يُسرَى». إنّما هذه مجرَّد صفات بشريّة. ولكن المقصود هنا هو ألوهيَّة يسوع، مَنْ يُمكنه أن يَجلس عن يمين الله إلّا ملك في درجة متساوية؟ إنَّ المسيح الصّاعد يأخذ مكانه الصحيح في المجد والكرامة في السماء، في ملوكيّة الله على السماء والأرض. إنّه يجلس على عرش العالم. كلّ ما يحدث في الكون إنَّما هو مضبوطٌ به.

يملأ كل الأشياء:

يقول القديس بولس عن يسوع:«صَعِدَ أيضًا فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف٤: ١٠). والطبعة الإنجليزيّة الجديدة تقول: «لكي يملأ العالَم». عندما صَعِدَ المسيح إلى السماء، فإنّه تحرَّر من جميع حدود المكان والزمان. تحرَّر ليكون موجودًا بحبِّه وقوّته مع كلّ انسان، في كل مكان وفي كل عُمر، إذ هو يملأ العالَم بحضوره. صار يسوع أقرب لنا الآن عمَّا كان مِن قَبل. إنَّ هذا مُبْدَعٌ بجمالٍ خاص في واحدة من أيقونات الصعود، حيثُ يُصَوِّر لنا كاتب الأيقونة المسيح الصّاعد أكبر وأكبر، حتى تكون الكرة الأرضية نفسها ليست إلّا كُرة صغيرة يُمسِكُها المسيح بيده. وبكلمات أخرى، فمن خلال صعوده، فإنَّ المسيح يَظهر كفائق على المكان والزمان كملك العالم: «إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ،الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (أف١: ٢٠-٢٣).

صديقٌ ينتظرنا في السماء:

إذ صَعِدَ إلى السماء، فقد عبَرَ إلى عالَمٍ آخر روحانيّ غير مرئي، إلّا أنَّهُ حقيقيّ تمامًا كالعالَم الذي نعيش فيه اليوم. هذا يخبرنا أنَّ الانسان سوف يكون في منزل في مكان آخر، في هذا العالم المتّسع غير الأرض. يقول يسوع: « فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا» (يو١٤: ٢-٣). إنَّ الصعود يعطينا التأكّد أنَّه يوجَد لنا صَديق ليس على الأرض فقط، بل أيضًا في السماء. هو سابق لنا ليعدّ لنا مكانًا عند وصولنا. ليس معنى الموت الذهاب إلى الظلمة، لكن الدخول إلى حضرته.

إن وَجَدَ أحدٌ علاجًا للسرطان، فهذا شيء يدعو إلى الابتهاج، ولكن يوجَد مَن وَجَدَ علاجًا لمَرَضٍ أردأ من السرطان: **الموت**. إنَّ **قيامة المسيح** تُرينا أنَّه، خارجًا، في عالم الله العظيم، فيما وراء هذا الكوكب المتناهي في الصِغَر والمُسَمَّى أرضًا، سوف يمضي الانسان يومًا ما، ويَجد منزلًا مع صديق، كما قال المسيح في صَلاته الكهنوتية: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا» (يو١٧: ٢٤).

سوفَ يأتي ثانية:

تُختَم رسالة الصعود بالإعلان عن عودة المسيح: «إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أع١: ١١). إنَّ يسوع الصاعِد هو ربّ المستقبل، وسوف يعود يومًا ما، بنفس الطريقة التي صَعِدَ بها. وكما ترك شخصيًّا هكذا سيعود شخصيًّا. وكما صَعِدَ في جسده المُمَجَّد، هكذا سوف يعود بمرأى من الناس، كما يقول سفر الرؤيا: «هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ،» (رؤ ١: ٧).

شفيعنا عند الآب:

يصعد يسوع إلى السماء، لا لينهي عمَلَه بالنسبة للبَشَر، لكن ليكمله ويكون شفيعنا العظيم أمام عرش الله. بل وأيضًا قبْلَ صعود المسيح، فإنَّه كان يُصَلِّي من أجل نفوس الناس. إنّه صَلَّى لأجل تلاميذه، وعلى الخصوص لأجل بطرس حتى لا يَفنَى إيمانه. وفي صلاته السّامية في العشاء الأخير فإنَّه صَلَّى لأجل جميع المُؤمنين المسيحيّين، في الماضي والحاضر والمستقبل، والآن هو في السماء يشفع فينا، «.. الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا.» (رو٨: ٣٤). « فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ (في

كل وقت) الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ.» (عب ٧: ٢٥)، «لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا» (عب٩: ٢٤)، وهو يكون لنا شفيعًا أمام الله (١يو٢: ١)، شفيعًا تمامًا كالمحامي الذي يدافع عنَّا. يسوع صَعَدَ إلى السماء بجسده، إنَّه يقف الآن أمام عرش الله نائبًا عن كُلّ الجنس البشري كمحامٍ يدافع، صار لنا أعظم وأقوَى مُدافعٍ في العالَم، ساميًا ورفيع الشأن، متبنِّيًا قضيّتنا! ولكي يدافع عن حالتنا بنجاح، فهو يحتاج إلى مساندتنا، يحتاج إلى أفضَل بُرهان يمكننا أن نقدّمه له: **إيماننا المُخلِص، توبتنا، أعمال الحُب!**.

إن كان هذا أمرًا يُساعدنا ويُشجّعنا أن نعرف في بعض الأوقات أنَّ هناك زوجة أو طفلًا صغيرًا، أو أُمًّا مُبَارَكَة أو أبًا أو صديقًا وفيًّا مُخلِصًا يُصَلِّي لأجلنا، وهذا التفكُّر في هذه الصلوات يُقَوِّينا ويُعيننا، ويُنَقينا حتَّى أنَّ قلوبنا تتشجَّع وتتقوَّى، فهو يدعمنا، وتذكار المسيح الصاعِد هو الآن شفيعنا العظيم في السماء، الذي يُصلِّي على الدوام لأجل كُلّ واحدٍ مِنَّا!

وهو جبل في وسط أرض السامرة بالقرب من شكيم وعلى بعد نحو عشرة أميال جنوبي شرقي مدينة السامرة، وكان مركزا لعبادة السامريين. ويمكن رؤية شكيم وبئر يعقوب من جبلَي جرزيم وعيبال.

وهذه المنطقة مقدَّسة عند اليهود وعند السامريين، فإليها جاء إبراهيم واقام بالقرب من جرزيم عند بلوطات مورة، (تك ١٢: ٦). وفي ساليم – على بعدٍ قليلٍ منها – قابل ملكي صادق (تك ١٤: ١٧). كما جاء إليها يعقوب، وبنى فيها مذبحًا وحفر بئرًا وابتاع قطعة حقل نصب فيها خيمته (تك ٣٣: ١٨)، وقد دفن فيها بنو إسرائيل عظام يوسف التي اصعدوها معهم من مصر (يش ٢٤: ٣٢).

وقد جمع يشوع كل شعب إسرائيل، كما أمر الرب موسى (تث ١١: ٢٩، ٢٧: ١١– ١٤) على جبلي جرزيم وعيبال لقراءة الناموس لمباركة الشعب. فوقف نصف الأسباط على جبل عيبال لِلَّعنة، والنصف الأخر على جبل جرزيم للبَرَكَةِ. بينما كان يقف في الوادي بين الجبلين، الكهنة ومعهم تابوت العهد. ولكنه بنى المذبح على جبل عيبال (يش ٨ : ٣٠ – ٣٥).

ثم جمع يشوع كل الشعب مرة أخرى إلى شكيم لتجديد العهد، إذ «اخذ حجرًا كبيرًا ونصبه هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب» (يش ٢٤: ٢٦) فقد كان ذلك الموضع مقدسًا عند بني إسرائيل في الأيام الأولى لدخولهم إلى ارض الميعاد.

وعلى رأس جبل جرزيم وقف يوثام بن جدعون ونادى أهل شكيم وقص عليهم مثل الأشجار التي أرادت أن تمسح عليها ملكا (قض ٩: ٧).

ويقول يوسيفوس: إنه بسبب النزاع الذي ثار بسبب زواج منسى من أسرة رئيس الكهنة من ابنه سنبلط الحوراني، ذهب وبنى هيكلًا على جبل جرزيم (٤٣٢ ق.م.)، ولكن دمَّره **يوحنا هركانس المكابي** في ١١٠ ق.م. واقام **انطيوكس ابيفانس، اندرونكس** واليًا على جرزيم (٢ مك ٥: ٢٣).

واهم معالم الجبل الآن، هو بقايا القلعة التي بناها جستنيان في ٥٣٣ م لحماية الكنيسة التي كانت قد اقيمت في ٤٧٥ م. وعند السور الغربي لقلعة جستنيان، يوجد اثنا عشر حجرًا يقال أنها الحجارة التي أخذها يشوع من بطن الأردن (يش ٤: ٢٠).

وقد أشارت المرأة السامرية في حديثها مع يسوع، إلى «هذا الجبل» أي جبل جرزيم، باعتباره مركز عبادة السامريين ، فقالت: « آباؤنا سجدوا في هذا الجبل »، ولكن الربّ يسوع أجابها بالقول : «لا في هذا الجبل ولا في أورشليم.. الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق» (يو٤: ٢٠ - ٢٣).

ويسمى جبل جرزيم حاليا «بجبل الطور» **(غير جبل تابور في الشمال الذي تجلّى عليه السيّد المسيح)**، ويرتفع في الجهة الجنوبية، بينما يرتفع جبل عيبال مقابله في الشمال من ممر ضيق بين الجبال يشق طريقًا من البحر إلى الأردن . وتقع مدينة «نابلس» في عنق هذا الممر إلى الغرب، وإلى جنوب الوادي عند سفح جبل جرزيم، وهي«شكيم» القديمة. وفي هذه المنطقة تتدفق عدة ينابيع غزيرة تنشر الخضرة والجمال في الوادي وبخاصة في جانبه الغربي وهو الأقل انحدارًا. ويبلغ ارتفاع جبل جرزيم ٨٨١ مترًا فوق سطح البحر، بينما ارتفاع جبل عيبال المقابل له هو: ٩٤٠ مترًا.

١٣- يسوع يُلطَم ويُجلَد

ولمَّا سأله رئيس الكهنة وسمع منه الحقيقة، ثار (متى٢٧: ٦٣)، فصفعه واحدٌ من الخدام الأشرار (يو١٨: ٢٢). وهذا الوجه الذي أضاء كالشّمس (متى١٧: ٢)، قَبِلَ لَطمةً من أيدٍ أثيمة! وجاء آخرون وبَصَقوا في وجه ذاك الذي بِتِفْلَتِهِ شَفَى المولود أعمى (يو٩: ٦). «أبهذا تكافىء الربّ أيّها الشعب الأحمق الذي لا حِكمة له؟» (تثنية ٣٢: ٦). يقول النبيّ متعجبًا: «يا ربّ، من آمن بكلامنا »؟ (أشعيا ٥٣: ١). لا يُمكن أن يصدّق فعلًا أن الله، ابن الله، يتحمَّل ذلك؟ ولكي لا يكون المخلَّصون غير مؤمنين، فقد سبق للروح القدس أن تنبأ عن شخص المسيح بقوله: (لأنّ الذي قال ذلك، هو نفسه كان حاضرًا فيما بَعد) «بذلتُ ظهري للضاربين» (أشعيا ٥٠: ٦)، «إذ أنّ بيلاطس، بعدما جلده، أسلمه ليُصلَب» (مر١٥: ١٥)، «وخدّي للناتفين، ولم أستُر وجهي عن التعييرات والبَصق» (أشعيا ٥٠: ٦). كما لو كان يقول: «وإذ كنتُ قد أحببت الحياة، فكيف كان يمكنني أن أعلم بما لم أمارسه؟» فكان عليه إذن، وهو الإله، أن يتألّم من أيدي البَشر. هل ترى إذن أنّ الأنبياء تنبأوا بكل وضوح عن هذه الآلام؟ ولدينا، كما سبق وقالت، الشيء الكثير من هذه الشهادات الكتابية عن زمن الآلام. واذا أراد أحد أن يبحث عن كُلّ شيء بدقّة، فإنّه يجد أنّ لا شيء مما يخصّ المسيح قد تُرِكَ بدون شهادة.

١٤- يسوع أمام بيلاطس وهيرودس

وجاء مُقَيَّدًا من عند قيافا إلى بيلاطس. هل هذا مكتوب أيضًا؟ أَجَلْ!«وبعدما قيَّدوه حَملوه هديّةً إلى الملك ياريم» (هوشع ١٠: ٦). ولكن قد يقول في الحال أحد المستمعين: لم يكن بيلاطس مَلِكًا، فكيف يمكن القول إذن «وبعد ما قيّدوه حملوه هدية للملك»؟ ولكن إقرأ الإنجيل: «ولما علِمَ بيلاطس أنّه من الجليل أرسله إلى هيرودس» (لو٢٣: ٧). وكان هيرودس وقتئذٍ مَلِكًا، وكان في أورشليم. فانظر دقّة النبي، إذ هو يقول: «وحملوه هدية»، ذلك «ان هيرودس وبيلاطس تصادقا في ذلك اليوم عينه، وقد كانا من قَبل متعاديين» (لو٢٣: ١٢). أجل، كان يليق بالذي كان سيصالح ما على الأرض وما في السماوات (كولسي ١: ٢٠) أن يُصالِح قبل كلّ شيء هؤلاء الذين كانوا سيحاكمونه. ان الربَ الذي «يقرّب قلوب عظماء الأرض» (أيوب١٢: ٢٤) كان حاضرًا. فَاعْتَرِف إذن بهذه الدقّة، وبِصِدْقِ شهادة الأنبياء هذه.

١٥- الشعب يحكم على يسوع بالصَلب

إعجَب بالربّ عند محاكمته. إنه يتألّم من الجُند الذين يذهبون ويأتون به. وجلس بيلاطس للمحاكمة (متى ٢٧: ١٩). والجالس من عن يمين الآب (مز١١٠: ١ ؛ أعمال ٧: ٥٦) يقف الآن لِيُحَاكَم (متى ٢٧: ١١). والشعب الذي أعتقه من أرض مصر، ومن بلدان أخرى، يصرخ ضدّه: «ارفعه ارفعه، اصلبه» (يو١٩: ١٥). ولماذا أيها اليهود؟ أَلِأَنّه شَفَى عميانكم، أو لأنه جعل العُرج منكم يمشون، أو لأنه مَنَحَكم خيرات أخرى؟ ولقد استغرب النبيّ من مثل هذا المسلك، فصَرَخَ: «على من تفغرون أفواهكم وتدلعون ألسنتكم ؟» (أشعيا ٥٧: ٤). والربّ نفسه يقول على لسان الأنبياء: «صار لي ميراثي كأسد الغابة، رفع عليّ صوته، لذلك كرهته» (أرميا١٢: ٨). لستُ انا الذي نبذهم، بل هم الذين نبذوني، ولذلك أقول: «هجرت بيتي» (ارميا ١٢: ٧).

١٦- صمت يسوع

كان صامتًا أثناء محاكمته (متى ٢٧: ١٤) الى حدّ أن بيلاطس كان يتألّم بسببه ويقول: «أمَا تسمع ما يشهدون به عليك ؟» (متى ٢٧: ١٣)، لا لأنه كان يعرف ذاك الذي كان يُحاكَم، بل كان يخشَى الحُلم الذي أخبرته به امرأته (متى ٢٧: ١٩). ولكن يسوع كان يلتزم الصمت. ويقول صاحب المزامير: «أما أنا فكأصَمّ لا يسمع، وكأخرس لا يفتح فاه، وكنتُ كمن لا سَمَعَ له ولا في فمه تبكيت» (مز٣٧: ١٤-١٥).

١٧- يسوع يُهزأ به ويكلّل بالشوك

وتجمهر الجُند حوله وأخذوا يهزأون به. وهكذا أصبح الربّ سخريتهم، والسيّد ألعوبتهم. «نظروا إلَيَّ فهزّوا رؤوسهم» (مز ١٠٨: ٢٥). وأصبح ذلك علامة مُلكه: كانوا يستخفّون به، ولكنهم كانوا يجثون قدّامه. وبعدما ألبسوه أُرجوانًا ووضعوا على رأسه إكليلًا، صلبوه. لماذا الإكليل، وإكليل الشوك؟ لأنّ كُل ملك ينادي به الجُند، كان لابدّ أن يكلّله الجُند. فعلى سبيل المثال كان لابدّ أن يُكَلِّلَ الجنودُ يسوع. ولذلك جاء في نشيد الأنشاد: «أُخرجنَ يا بنات صهيون، وانظُرنَ الملك سليمان بالتّاج الذي توَّجته به أمّه» (٣: ١١). وكان هذا التاج سرًّا مُقَدَّسًا، إذ كان غفرانًا للخطايا ونجاةً لِلَّعْنَةِ.

قصة من واقع الحياة

إصبع عازفة البيانو

هذه القصة سوف تُلهمك – عزيزي القارئ – لتتحقَّق من أنَّ أيَّ واحدٍ يمكنه أن يتغلَّب على المحنة مهما كانت صعبة وشديدة!

✝ ماذا كنتَ تفعل لو أنك كنتَ قد وُلدتَ ولك إصبعان فقط في كلِّ يد، ورجلاك مبتورتان عند الرُّكْبة؟

فإن كنتَ أنت هو الطفلة "هي آه لي" الكورية الجنوبية من جهة موطنها، ثم صرتَ لاعبًا على البيانو بمهارةٍ فائقة، فماذا سيكون وضعك؟! إنها الآن في مُنتهَى المهارة، ولابد أنك تُحِبُّ أن تسمع لهذه الفتاة مقطوعاتها الموسيقية بإصبعين في كلِّ يد.

✝ لقد وُلِدَتْ "هي آه لي" **بتشوُّه خِلْقي شديد**. فإن لديها إصبعين فقط في كلِّ يد، ورجلاها تنتهيان عند رُكبتيها. ولم يتوقَّع لها الأطباء أن تعيش بهذه التشوُّهات.

لكنها عاشت! وفي سنِّ السادسة، بدأتْ تعزف على البيانو. وفي ذلك الوقت كانت أصابعها الأربعة في منتهى الضعف. فلم تكن تستطيع أن تمسك بالقلم. ولكن أُمَّها كانت تأمل بأنَّ عَزْفها على البيانو سيُقوِّي قبضتَي يديها.

وهذا ما تمَّ، بل بأكثر مِمَّا كانت أُمُّها تظنُّ، فإنَّ "هي آه لي" صارت موهوبةً بامتيازٍ. فهي الآن تجوب أنحاء العالم كله، تعزف على البيانو لجماهير المستمعين المتشوِّقين لعَزْفها. فهي تعزف مقطوعات موسيقية يصعب على العازفين ذوي البنية الطبيعية القوية عزفها!

✝ إنها قصة حقيقية بناء على برنامج **True or Fiction** :
http://www.inspire21.com/stories/truestories/4-fingerpianist

وشريط الفيديو حقيقي، و "هي آه لي" هي بنفسها شخصية حقيقية. إنها قصة أُم مؤمنة غير يائسة، وابنة استطاعت أن تتغلَّب على المُعوِّقات الطبيعية التي وُلِدَتْ بها منذ البداية.

✝ لقد أصبحتْ والدة "هي"، وبدون توقُّع مُسْبَق، حاملًا من زوجها المُعوَّق هو أيضًا. وقد أخبرها الأطباء أنها، بسبب الأدوية التي تناولتها، فإنَّ وليدتها لن تكون طبيعية! ولكنها اختارت أن تستمر في حَمْلها. وفي عام ١٩٨٥، وُلِدَتْ "هي آه لي" في **سيؤول عاصمة كوريا الجنوبية** بإصبعين فقط في كلِّ يد، وبتشوُّه في قدميها، وبأذى خفيف في مُخِّها.

وقد أخبر المستشفى أُمَّها "صان" بأنها (أي الأُم) لن يُمكنها أن تعتني بالمولودة في بيتها. وقد أشار عليها الأقارب أن يُودِعوها لدى الذين يرغبون في تبنِّيها من سُكَّان البلاد الأجنبية. لكن "صان" رأت ابنتها أنها جميلة، وبالتالي قرَّرت أنها سوف تعيش حياتها وستنجح.

✝ حينما التحقتْ "هي" في رياض الأطفال السابقة للمدرسة، قرَّرت أُمُّها أنها تُريد أن تدرس ابنتها العَزْف على البيانو لسببين: أَولهما أنها أحسَّتْ بأن ذلك سوف يُساعدها في تقوية يديها، بحيث تستطيع أن تُمسِك بالقلم؛ وثانيهما بأنها أحسَّت بأنَّ ذلك سوف يُساعدها على الاستمرار في تعلُّم أي شيء آخر بعد البيانو.

✝ ولكن بعد ستة أشهر في تعلُّم العَزْف على البيانو، رَفَضَتها المدرسة؛ وحتى المُدرِّس الذي وافق على مهمة تعليمها، ثَبَطَتْ هِمَّتُه، وأراد أن ينصرف عن تعليمها. وظلَّت الأُم في صراعٍ مع ابنتها، ما قاد الأُم في النهاية إلى إلقاء ابنتها أرضًا بإحباطٍ من تعليمها. لكن الطفلة قامت وجلست على البيانو، وأَخَذَتْ تعزف بنجاحٍ المقطوعة الغنائية للأطفال التي كانت تحاول أن تتعلَّمها!

✝ وكانت هذه نقطة التحوُّل، حيث ربحت الطفلة أيضًا بعد عام أكبر جائزة في المقطوعات الموسيقية للأطفال المعزوفة على البيانو. وكان ذلك وهي في السابعة من عمرها. وقد ربحت أيضًا في المسابقة التاسعة عشرة للمُعوَّقين، وقد نالت شرف تقديمها – هي وجائزتها – إلى رئيس جمهورية كوريا الجنوبية.

✝ تبلغ "هي" الآن العشرين من عمرها، وقد ربحت جوائز كثيرة. وهي كعازفةٍ مشهورة على البيانو، جالت في بلادٍ عديدة، وظهرت أمام الجماهير أكثر من ٢٠٠ مرة.

وقد صَدَرَ أول ألبوم موسيقي لها باسم "هي آه، عازفة البيانو ذات أربعة الأصابع"، في شهر يونيو عام ٢٠٠٨م.

✝ وتُرجِع "هي آه" الفضل لأمِّها التي تحدَّت الجميع لتجعلها بارعة في العزف على البيانو. وقالت إنَّ تدريبها كان صعبًا جدًا، "وبمرور الوقت صار البيانو هو مصدر إلهامها، وصديقها المُفضَّل".

✸ ✸ ✸

✝ «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات» (مت ١٩: ١٤).

✝ «اقبلوا بعضكم بعضًا كما أنَّ المسيح أيضًا قبلنا لمجد الله» (رو ١٥: ٧).

✝ «وأعضاء الجسد التي نحسب أنها بلا كرامة، نُعطيها كرامةً أفضل. والأعضاء القبيحة فينا لها جمالٌ أفضل» (١كو ١٢: ٢٣).

✝ «... مُكتئبين في كلِّ شيء، لكن غير متضايقين. مُتحيرين، لكن غير يائسين... مطروحين، لكن غير هالكين» (٢كو ٤: ٨،٩).